حصاد العقل

مجموعة مقالات

الطبعة الثانية

تأليف / ابتسام عبد الله البقمي

ردمك

إهداء

أهدي هذا الكتاب (حصاد العقل) – في طبعته الثانية– إلى كل من دعمني وشجعني في الصحافة السعودية، وكان سببًا في صقل موهبتي الأدبية

مع بالغ التقدير، وأجمل الشكر .

المقدمة

لقد حفزني ما حققه (حصاد العقل) في طبعته الأولى من قبول ورضا لدى القارئ الكريم، على تقديمه لك عزيزي القارئ الكريم في حلة جديدة بطبعة منقحةٍ ومزيدةٍ بالعديد من المقالات التي نشرت في صحيفة (الجزيرة) السعودية، صفحة (وراق الجزيرة)، ونشر بعضها في المواقع على الشبكة العنكبوتية، كما قمت بتغيير وتعديل في بعض المقالات التي سبق نشرها في الطبعة الأولى، مثل : (المرأة السعودية تستحق الإشادة)، و(المرأة الأديبة في تراثنا الأدبي) .

أتمنى أن يحوز الكتاب على إعجابك وحسن تقديرك، وأن تجد فيه المتعة والفائدة.

وتقبل خالص تحياتي.

المؤلفة

فاتحة الحصاد

أن يكتب المرء، ويتعشق الحرف في حياته فذلك تفرد وإنجاز في زمن قل فيه المخلصون للكتابة، المتفرغون لهمومها، أما أن تكتب المرأة فإن ذلك يشكل تفردًا مركبًا؛ لأنها تتحدى تكاليف الحياة، وتتمرد على النسق المهيمن في رؤية المجتمع للمرأة الكاتبة، وتنحاز للحرف وفضاء الكتابة، وهو الفضاء الذي لا يغري المرأة المعاصرة، ولا يدخل في نطاق اهتماماتها إلا ما ندر.

وحين نتأمل إلى حصاد العقل للكاتبة / ابتسام البقمي نلمس أنها مسكونة بقلق الكتابة، والتعبير عن قضايا المجتمع، وقضايا المرأة، وتتابع بحفاوة إنجازات المرأة في المجتمع السعودي بوصف ذلك تحقيقًا لموقعها في خارطة الفعل الاجتماعي، وهو ما تنشده الكاتبة، وتتمنى تحقيقه، كما أنها تعد تلك الإنجازات تحقيقا لهويتها الذاتية، كاتبة، وباحثة، كما نجد المتابعة الحثيثة لكل جديد في مضمار المعرفة وبخاصة ما يخدم التنمية الاجتماعية، ولا يفوتها أن تقتحم قضايا النقد والبلاغة لارتباط ذلك بتخصصها، وحين تتناول تلك القضايا تتناولها بنَفَس ممتد، وتحاول أن تحيل إلى مصادر معلوماتها، بأمانة علمية، وتوثيق دقيق، تمزج الشعر بالنثر، والحقيقة العلمية بالإشارة الاجتماعية، بأسلوب سلس، وتدفق ينم عن وفرة في المعلومات، ومراس في الكتابة، والتزام اجتماعي وأخلاقي، تنشد قيم الحياة العليا، وتعبر عن انتمائها للوطن، وإخلاصها في حبه، والحرص على تنميته، من موقع الكلمة المسؤولة.

إن هذه المقالات نشرت في الصحافة السعودية وفي مواقع التواصل الاجتماعي، وذلك يعني أن المتلقي كان حاضرًا في هذه النصوص، وأن طبيعة الرسالة التوصيلية تقتضي أسلوبًا يتناغم مع جمهور التلقي.

آملين للكاتبة التوفيق وأن نرى لها أعمالاً جديدة وبأساليب جديدة أيضًا.

والله الموفق

د .عبد الحميد الحسامي

البكاء على الأطلال و البكاء على المدن و الممالك

في الشعر العربي

قد يكون هذا العنوان عنوان بحث علمي لكنه مجرد مقالة أدبية، أريد من خلالها مراجعة شيء من روائع شعرنا العربي، وأحاول تلمُّس أوجه التشابه والاختلاف بين هذين النوعين من البكاء في الشعر العربي .

ومن أشهر قصائد البكاء على الأطلال المعلقات السبع، التي تتوجت مطالعها بسنة البكاء، وهي سنة جرى عليها الشعراء، وتوارثوها أجيالاً، ومن تلك المعلقات وأشهرها معلقة امرئ القيس، ومطلعها :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

ومعلقة طرفة بن العبد، ومطلعها :

لِخَولَةَ أَطْلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ
تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

ومعلقة زهير بن أبي سلمى، ومطلعها :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ
بِحَوْمَانَةِ الدَّرّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ

ومعلقة عنترة بن شداد، ومطلعها :

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمِ
أم هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بعدَ تَوَهُّمِ

ومعلقة لبيد بن ربيعة، ومطلعها :

عفتِ الديارُ محلّها فمُقامُهَا
بمنًى تأبّدَ غَوْلُها فَرِجَامُهَا

واستمر الوقوف على الأطلال في الشعر العربي حتى العصر الحديث في بعض القصائد .

والحديث عن عادة البكاء والوقوف على الأطلال في الشعر العربي بنية قارة في

عمق الذاكرة الشعرية، لكن دعوني انتقل لتسليط الضوء على البكاء على المدن والممالك في الشعر العربي :

لقد عرف شعراء المشرق العربي بكاء المدن، لكنهم لم يبلغوا فيه شأن المغاربة والأندلسيين، الذين برعوا فيه لكثرة سقوط المدن والممالك في المغرب العربي، وخاصة الأندلس.

ومن شعراء المشرق الذين بكوا مدينة بغداد أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون سنة سبع وتسعين ومائة للهجرة (١٩٧هـ/٨١٢م) الشاعر عمرو بن عبد الملك الوراق، يقول:

مَـن ذا أصابكِ يـا بغـدادُ بالعـينِ ... ألـمْ تكونـي زمانـاً قُـرَّةَ العـينِ؟

ألمْ يكُنْ فيكِ أقـوامٌ لهُمْ شـرَفٌ ... بالصّالحـاتِ وبالمـعروف يلقونـي

ألم يكُـن فيـكِ قـوْمٌ كان مسـكنُهُم ... وكـانَ قُربُهُـم زينـاًمن الزَّيـنِ

صاحَ الزمانُ بِهم بالبَـينِ فأنقَرضُـوا ... ماذا الّـذي فجعتني لوعـة البيـن

ويقول الشاعر الخزيمي إسحاق بن حسان الفارسي :

يـا بـؤسَ بَغْـدادَ دارِ مَمْلَكَـةٍ ... دَارَتْ عَلـى أَهْلِهـا دَوَائِـرُهـا

وحينما اقتحم الزنج البصرة سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة (٢٥٥هـ)، وهددوا كيان الدولة العباسية، واعتدوا على الأموال والحرمات والأعراض، قال ابن الرومي:

أَيُّ نَـوْمٍ مـنْ بَعْـدِ مـا حـلَّ بالبَصْـرَةِ ... مـنْ تِلْكُـمُ الهِنَـاتِ العِظَـامِ

أَيُّ نَـوْمٍ مـنْ بَعْـدِ مـا انْـتَهَـكَ ... الزّنْـجُ جَهَـاراً مَحَـارِمَ الإسْـلامِ

كـمْ أَخٍ قَـدْ رَأَى أَخَـاهُ صَرِيعـاً ... تَـرِبَ الخَدِّ بيـنَ صَرْعـى كِـرَامِ[1].

وفي هذا السياق قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس – ومطلعها:

(١) موقع مجلة الزيتونة على الشبكة العنكبوتية .

لِكُلِّ شَيءٍ إِذا ما تَمّ نُقصانُ ... فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إِنسانُ

هِيَ الأُمورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ ... مَن سَرّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ

وَهَذِهِ الدارُ لا تُبقي عَلى أَحَدٍ ... وَلا يَدُومُ عَلى حالٍ لَها شانُ

والحديث عن بكاء المدن والممالك في الشعر العربي طويل، والنماذج كثيرة .

هذان النوعان من البكاء في شعرنا العربي تلتقي، وتتفق في البكاء على فقد وخسارة عزيز وغالٍ .

وتختلف القصائد الطللية من حيث صدق عاطفة الشاعر في بكاء حبيبته بين من هو صادق، وبين من يبكي كعادة في بناء القصيدة قديمًا، ويتضح ذلك من خلال معاني القصائد .

ويرى البعض أن الوقوف على الأطلال هو رمز لحب الوطن عند الإنسان العربي، لكن حب الوطن وصدق العاطفة أكثر وضوحًا في البكاء على المدن والممالك؛ لأنهم يبكون أرضًا سلبت ووطنًا ضاع، بل هم يبكون حضارة وتاريخ، كما أن القارئ لقصائد البكاء بنوعيه في النماذج الرائعة يجد المتعة الفنية والأدبية التي يبحث عنها، لكنه يهتز ويطرب وهو يقرأ القصيدة الطللية هادئ النفس لا يكدر صفوه شيء، أما حينما يقرأ قصائد البكاء على المدن والممالك فإنه يشعر بشيء غير يسير من الألم والحسرة وربما الفتور، فالجرح جرحه وجرح أمته ...

وما يزال الإنسان العربي يبكي فراديسه، فبعد الأندلس فلسطين وبعدها بغداد.... فهل كتب البكاء عليك أيها الإنسان العربي هل كتب عليك أن تبكي الديار كما بكى ابن خذام ؟!!! وهل للبكاء من نهاية؟؟

امرأة متميزة

هل التميز بالشهادات ؟ هل التميز بالغنى ؟ هل التميز بالمناصب ؟ هل التميز بالشهرة ؟ هل التميز بالعمل ؟ هل التميز بالجمال ؟ .

نعم! التميز في كل ما ذكرت، لكن المرأة التي عرفتها منذ عرفت النساء متميزة بأهم من كل ذلك .

إنها –رحمها الله– مدرسة في الأخلاق الرفيعة، فمنذ عرفتها وهي مبتلاة بأنواع شتى من البلاء والمرض، ولكنها –في الوقت ذاته– صابرة على ذلك صبرًا يُضرب به المثل .

لقد قرأتُ عن خُلُق الصبر وغيره من الأخلاق الرفيعة في المدرسة، وقرأت في الكتب عن أناس صابرين، ولكنني رأيت بأم عيني مثالاً حيًّا طوال حياتي للصبر، إنها مدرسة أمي الغالية .

وقد كان آخر بلاء بُليت به أنها ماتت مبطونة، والمبطون شهيد.

فتعلمت من مدرسة (صالحة) الحب، والعطاء، والوفاء .

الحب للزوج، والحب للأبناء، والحب للإخوان، والحب للصديقات.

ولم أر في حياتي زوجة تحب زوجها، وتحرص على أن تموت وهو عنها راضٍ مثلها .

بل إنني لم أر في حياتي أمًّا تحب أبناءها، وتعمل كل شيء من أجل صلاحهم ونجاحهم وسعادتهم مثلها .

ولم أر في حياتي أختًا تحب إخوتها، وتبذل ما استطاعت من أجل بِرِّهم مثلها.

ولم أر في حياتي صديقة وفية لصديقاتها، وتكثر من ذكرهن مثلها.

لقد عرفتها –رحمها الله– أُمِّيَّةً لا تقرأ، ولا تكتب، ولكنها حريصة جدًّا على مستقبل أبنائها العلمي، فقد كانت توفر كل السبل والأسباب لنجاحهم .

وكانت دائمًا تشجعني كلما ضعفت همتي، وخارت قواي، وتضرب لي مثلاً بمخلوق ضعيف وهو النملة. وتقول لي: يا بنتي! انظري إلى النملة تصعد الحائط، وتسقط، ثم

تصعد، وتسقط، ولا تزال حتى تواصل الصعود .

وحينما دخلت الجامعة كنت متشائمة منها، وكانت تقول لي: يا بنتي! لا تتشاءمي عسى أن يكون خيرًا .

وكانت صادقة جدًّا لا تحب الكذب؛ لذلك تصدق كل ما يقال لها .

عرفتها-رحمها الله- محبة للخير والصدقة والإنفاق في سبيل الله.

وفي آخر عمرها دخلت مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، فكانت تقرأه، وتتعتع فيه وهو عليها شاق؛ فلها أجران، ورغم تلك المشقة لم تنقطع عن تلاوته آناء الليل وأطراف النهار. وكانت أكثر ما تقرأ القرآن بعد صلاة الفجر، وتقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (١).

عهدتها تستمع إلى الحديث النبوي الشريف من التلفاز، ومن بعض المشايخ الأفاضل في الأشرطة الإسلامية.

ومن أجمل لحظات عمري تلك التي أجلس معها نردد أذكار الصباح و المساء . وكان أكثر حديث يطربها، وتهتز له الحديث عن الماضي، فلديها حنين عجيب جدًّا إلى الماضي رغم قسوته .

ولم تكن في حياتي أمًّا كباقي الأمهات، بل تمثل لي أشخاصًا متعددين، لقد كانت أمًّا و أختًا وصديقة ومعلمة، ولعل ما يبعث على الضحك أنني أشعر في بعض الأحيان أنها بنتي، وأنا مسؤولة عنها.

لقد كانت كل شيء في حياتي .

قد تتهمني -عزيزي القارئ- بأنني أكتب عن أمي، وكل إنسان معجب بأمه، ويحبها، ولكن الذين يعرفون (صالحة) وقلبها النابض دائمًا بالحب، والوفاء، والعطاء، والصلاح لا يساورهم أدنى شك فيما كتبت عنها .

هي تستحق أن يكتب عنها مقالات كثيرة، وكتب عديدة؛ فهي مدرسة حقيقية ونموذجية لا تتاجر بعطائها، وإنما تبذله وهي طيبة النفس .

وقفة :

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٨.

أمي ...رأيت فيك من الصفات

ما يضيق به المقال

ففيك عظمةُ الإنسان

فأنت نهر العطاء

ونبع الوفاء

و لا تظني -يا أمي- أني بالحبر أصف حبي

لأن حب الناس كلهم لا يعدل نصف حبي لك

أنت الحب كله

و عد :

أعدك يا أمي أن أبقى وفيةً حتى الموت .

المرأة السعودية .. إشادة وتقدير

لقد أثبتت المرأة السعودية –و لله الحمد والمنة– تميزها وتفردها في جميع مجالات الإبداع العلمي، والأدبي، والإعلامي، والاقتصادي، والتربوي،والاجتماعي،والفني، والعملي، حيث وجدت دعمًا وتشجيعًا كبيرًا من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود –حفظه الله– حتى أصبحت إحدى النساء نائبة وزير التربية والتعليم لشؤون البنات، و هي الدكتورة نوره الفايز .

و أصبحت المرأة السعودية عضوة في مجلس الشورى السعودي.

وتفوقت المرأة السعودية في المجال العلمي، والعمل الطبي، ومنهن الدكتورة سامية العمودي، التي حصلت على جائزة المرأة الدولية للشجاعة؛ لجهودها في بث التوعية ضد مرض سرطان الثدي الذي أصيبت به[1].

وفي نفس المجال الطبي تبرز الدكتورة فاتن خورشيد، التي كتب عنها الدكتور بدر كريم مقالاً جميلاً بعنوان: (بول الإبل لا قيادة السيارة)، حيث قال في ثنايا مقاله :

(أثبتت المرأة السعودية أن التحديات التي تواجهها تهون حين تحقق ذاتها)[2].

وفي هذا المجال يبرز اسم لامع، وهو اسم الدكتورة حياة سندي، التي استطاعت الحصول على درجة الدكتوراه من جامعة كمبردج البريطانية، وتمكنت من تقديم وجه مميز للمرأة السعودية من خلال نجاحاتها العلمية المتواصلة، مما مكنها أن تكون ضمن ١٥ عالمًا على مستوى العالم وفق تصنيف منظمة (tech pop) الأمريكية، وقد أجرت معها صحيفة (الرياض) السعودية حوارًا دعت فيه الفتيات السعوديات إلى تجاوز طموح (الشهادة) إلى خدمة المجتمع والإنسانية.

ومنهن الدكتورة خوله الكريع، التي تسلمت وسام الملك عبد العزيز من الدرجة الأولى من يد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز –رعاه الله– و هي رئيسة مركز الأبحاث بمركز الملك فهد الوطني للأورام، وكبيرة علماء أبحاث السرطان بمستشفى الملك فيصل التخصصي .

(١) وقد أجرت معها صحيفة (عكاظ) السعودية لقاء بهذه المناسبة في صفحة (ثقافة) العدد (١٤٨٠٩) ، الأربعاء ٢٤ صفر ١٤٢٨هـ.
(٢) و المقال منشور في صحيفة (عكاظ) السعودية ، صفحة (ساحة الرأي) العدد (١٤٧٥١) ، الأثنين ٢٦ ذو الحجة ١٤٢٦هـ.

أما في المجال الإعلامي فهناك العديد من الأسماء البارزة، ومنهن: الأستاذة مها مصطفى عقيل، التي اختارتها منظمة المؤتمر الإسلامي كأول امرأة منذ أكثر من ثلاثين عامًا لمنصب مدير تحرير لمجلتها الفصلية الجديدة (ذي جورنال) التي تصدر باللغة الإنجليزية[١] .

تقول الإعلامية مها عقيل في ثنايا الحوار: (إن ترشيحها لمنصب مدير التحرير هو إثبات بأن المرأة السعودية أثبتت وجودها) .

ومن الشخصيات البارزة في المجال الإعلامي المصورة السعودية العالمية سوزان إسكندر عضو جمعية الإعلاميين السعوديين، التي شاركت كأول مصورة خليجية تشارك في الملتقى الثالث لمصوري الصحافة الرياضية العرب في المغرب، وقد نشرت صحيفة (عكاظ) السعودية خبرًا عن استقبال معالي وزير الثقافة والإعلام الدكتور عبد العزيز محيي الدين خوجه لها في مكتبه ضمن وفد الإعلاميين السعويين[٢].

كما برزت المرأة السعودية كسيدة أعمال، والأسماء في هذا المجال كثيرة، ومنهن: الأستاذة مي التركي، التي قلدها السفير الإيطالي لدى المملكة يوجينيو داوريا ميدالية الشرف الممنوحة من الرئيس الإيطالي، التي يطلق عليها :

(commander of the order of the star of Italian solidrity) وذلك على هامش حفل اليوم الوطني الإيطالي، وبما أن السيدة مي التركي المديرة الإقليمية لمكاتب الهيئة العامة للاستثمار في أوروبا، فقد جاء التكريم نظير جهودها التي قامت بها لتوفير الدعم اللازم لتعزيز الاستثمارات المشتركة بين البلدين، التي أسهمت في زيادة تدفق رؤوس الأموال الإيطالية للمملكة[٣].

ومنهن سيدة الأعمال الأكاديمية وفاء العقيل، و قد أجرت معها صحيفة (عكاظ) السعودية حوارا [٤].

(١) و قد أجرت معها صحيفة (عكاظ) السعودية حوارا في صفحة (آفاق ثقافية) يوم السبت غرة محرم ١٤٢٨هـ.
(٢) العدد (١٥٩٨٤) ، الثلاثاء ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ.
(٣) و قد نشر هذا الخبر و التقرير عن السيدة مي التركي في صحيفة (الرياض) السعودية، صفحة (الرياض الاقتصادي) ، العدد (١٥٢١٩)، الخميس ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٣١ هـ.
(٤) وقد أجرت معها صحيفة (عكاظ) السعودية حوارا في صفحة (جيل الأعمال ، العدد (١٥٠٧٧) ، الجمعة ٢٧ ذو الحجة عام ١٤٢٨هـ.

وذكرت في ثنايا الحوار (أنها تدرس إنشاء أكاديمية فنية ومزاد للتحف، و تقول : إن صعوبة استخراج التصاريح تربك الاستثمارات النسائية التشكيلية) .

وبرزت المرأة السعودية في الحقل العلمي والبحوث العلمية، وحصلت العديد من السعوديات على شهادات البكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه، وساهمن بفاعلية بأبحاث علمية مهمة، ومنهن: الأستاذة ريما الطويرقي عالمة الفيزياء، والمخترعة أمل محمد العجالين الدوسري، التي حصلت على جائزة المرأة المخترعة المتميزة من المنظمة العالمية الفكرية بجنيف[1] .

وبرزت المرأة السعودية في مجال الإبداع الأدبي،ومنهن: الروائية رجاء عالم، التي فازت بجائزة كأفضل روائية عالميًّا، والروائية قماشه العليان التي فازت كأفضل كاتبة للرواية عربيًّا، والأديبة ناهد باشطح، التي فازت كأفضل كاتبة للمقالة عربيًّا، والكاتبة المتميزة خيرية السقاف، التي كُرِّمت في معرض الرياض للكتاب عام ٢٠١٣ ميلادية.

أما في مجال الشعر، فهناك أسماء كثيرة، مثل: الدكتورة ثريا العريض، و فوزيه أبو خالد، وأشجان الهندي، وبديعة كشغري، وحليمه مظفر، و غيرهن .

كما برزت أسماء عديدة ولامعة في كتابة القصة القصيرة، مثل : بدرية البشر، و الدكتوره هناء حجازي، وحكيمة الحربي، و وفاء العمير، و خديجة الحربي، و أمل الفاران، و عائشه القصير، و أميمة الخميس، و دكتوره كوثر محمد قاضي ، و ساره الأزوري، و غيرهن .

وقد سُعدت كغيري بدخول المرأة السعودية عضوة في الجمعيات العمومية للأندية الأدبية الثقافية في المملكة، وانتخابها وترشيحها عضوة في إدارة مجالس الأندية الأدبية ابتداء من عام ١٤٣٢ هجرية، مثل: الدكتورة هيفاء فدا، و الدكتورة أمل القثامي، و الدكتورة أميرة كشغري، ونجلاء مطري .

كما برزت المرأة، وخدمت بجد وإخلاص في مجال التربية والتعليم، وفي قطاعات العمل الاجتماعي، مثل: الكاتبة الصحفية فاطمة سعد الدين.

و من الظلم أن ننسى في هذا السياق المرأة السعودية ربةَ منزلٍ ربت الأجيال

(١) وقد أجرت معها مجلة (المتميزة) السعودية حوارا في عددها الرابع و الثلاثين عام ١٤٢٦هـ.

الصالحة، وقدمت لوطنها مواطنين صالحين ومواطنات صالحات، حتى ولو كانت أمية لا تقرأ ولا تكتب، فلها كل الحب والتقدير والاحترام .

و أخيرًا : دمتِ أيتها السعودية مبدعة ومتميزة في شتى مجالات الحياة، و الله يحفظك ويرعاك لوطنك الغالي .

أربع نماذج أبهرتني

الإنسان معجزة إلهية في خلقه، ويكفي الإنسان أن يحس بنعمة واحدة من نعم الله –سبحانه– عليه، كنعمة البصر مثلاً، ويستشعر أهميتها في حياته، فإن ذلك يبعث في نفسه عمق الإيمان بالله –سبحانه– وتعظيم شكره، والامتنان لأفضاله التي لا تحصى .

وقس على ذلك نعمة السمع، ونعمة العقل، فهما من أعظم نعم الله – تعالى– على الإنسان .

وفي هذه الحياة أناس قد حرموا من بعض هذه النعم، كنعمة السمع، أو البصر، أو السير على أقدام سليمة، لكن رحمة الله –تعالى–أعظم على الإنسان، وهو أعلم بما يصلحه، فلئن كان الله –تعالى– سلبه نعمة، فإنه يعطيه قوة مضاعفة في نعم أخرى، كنعمة العقل .

والإعاقة الجسدية ليست إعاقة حقيقة، وإنما الإعاقة الحقيقة هي الإعاقة الفكرية، أو الاجتماعية، أو النفسية .

وقد يعاني الإنسان من إعاقة جسدية معينة، ولكنه في الوقت ذاته يتفوق على كثير من الأصحاء .

وفي هذا السياق سمعت، وقرأت، ورأيت بأم عيني أربعة نماذج من كفيفي البصر أبهرتني، و رأيت أن من واجبي أن أسجل لهم بمداد من ذهب كلمة حق وإشادة يستحقونها بجدارة، وتكون حافزًا للأصحاء أن يُعملوا عقولهم، ولا يقفوا عند نقطة واحدة .

واسمحوا لي أن احتفظ بالأسماء لنفسي.

أما النموذج الأول: فهو رجل كبير من أهالي مكة المكرمة، أخبرني أحد الذين يعرفونه أنه يقود السيارة حتى في الليل، ويعرف الطرق كما يعرفها المبصرون، حتى أنه

طلب ذات مرة من أحدهم أن يوصله إلى السوق فخالف هذا الطريق، وذهب إلى مكان آخر، فنبهه هذا الكفيف إلى أن الطريق غير صحيح. وهجم على بيت هذا الكفيف ذات مرة حرامي فاكتشفه بذكائه العالي، واستطاع بحسن تصرفه أن يقبض عليه، ويسلمه إلى الشرطة بمساعدة ابنه .

والنموذج الثاني : شاب من أهالي مكة المكرمة كفيف البصر كذلك، من يسمع هذا الشاب وهو يكثر المشاركة في البرامج التلفزيونية والإذاعية والصحفية، ويناقش بتميز وحضور ذهن يتصور أنه يشرب من بئر معرفي مليء بالمعلومات.

والنموذج الثالث: طفل صغير كفيف البصر، كتب عنه في صحيفة (عكاظ) السعودية بتاريخ الاثنين ٢ محرم عام ١٤٢٨ هجرية. يقول الخبر: إنه حضر ذات مرة عند الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود أمير منطقة مكة المكرمة –رحمه الله–، وقال: يا سمو الأمير! اسمح لي أن أتحسس وجهك لأني أريد أن أرسمه،سمح له الأمير الطيب بذلك، فرسمه رسمه مقاربة جدًّا للحقيقة، ونشرت صحيفة (عكاظ) الرسمة في نفس العدد، وذلك في ملحق خاص عن الأمير عبد المجيد –رحمه الله–فقال له الأمير : كيف رسمتني ؟ قال: بقلبي، هنا شعرت بالدهشة، وعلمت أن الإعاقة قد تكون نعمة من نعم الله –تعالى– وإن كانت في ظاهرها نقمة .

والنموذج الرابع: فتاة كفيفة البصر، رأيتها بأم عيني تجري اختبارًا تحريريًّا في جامعة أم القرى، وكانت تملي الإجابات على من كانت ترافقها، فهي لم تيأس وتتقاعس عن مواصلة الدراسة الجامعية (فلله درها !، وحفظ الله لها باقي حواسها قوية سليمة) .

إن مثل هذه النماذج نحييها تحية إجلال وإكبار؛ لأنها انتصرت على الإعاقة الجسدية بقوة الإيمان، وفجرت طاقاتها الإبداعية .

وفي هذا المقام أوجه ثلاث رسائل :

الرسالة الأولى : لكل معاق أن لا ييأس، ولا يقنط من رحمة الله تعالى، وأن يبحث، ويفتش في ذاته عن مواطن القوة والتميز عنده، ويواصل كفاحه لبناء ذاته البارعة .

والرسالة الثانية : إلى الأسرة والمجتمع بكافة مستوياته أن يعتنوا عناية خاصة بهذا

المعاق، وأن يساعدوه لاكتشاف ذاته، فهو ليس بحاجة إلى نظرة الشفقة والحنان، بقدر ما هو بحاجة إلى العطاء المعنوي لمنحه الثقة بنفسه وبقدراته .

والرسالة الثالثة : إلى حكومتنا الرشيدة أن تولي هذه الفئة من ذوي الاحتياجات الخاصة ما تحتاجه من الدعم، وأن تهيئ له سبل تحقيق ذاته، وتطوير إمكانياته.

قفلة

للشاعر التونسي أبي القاسم الشابي :

ضعفُ العزيمةِ لَحْدٌ، في سكينَتِهِ ... تقْضِي الحياةُ، بَنَاهُ اليأسُ والوجَلُ

وفِي العَزِيمَةِ قُوَّاتٌ، مُسَخرَةٌ ... يخِرّ دونَ مَداها اليأسُ والوجَلُ

والنّاسُ شَخْصان: ذا يسْعى به قَدَمٌ ... من القُنوطِ، وذا يسعَى به الأملُ

هذا إلى الموتِ، والأجداثُ ساخرةٌ، ... وَذَا إلى المَجْدِ، والدُّنْيَا لَهُ خَوَلُ

ما كلُّ فعلٍ يُجِلُّ النَّاسُ فَاعلَه ... مجداً، فإنَّ الورى في رأيِهم خطَلُ

ففي التماجدِ تمويهٌ، وشَعْوذَةٌ، ... وَفِي الحَقِيقَةِ مَا لا يُدْرِكُ الدَّجَلُ

مَا المَجْدُ إلا ابتِسَامَاتٌ يَفِيضُ بِها ... فمُ الزمانْ، إذا ما انسدَّتِ الحِيَلُ

وليسَ بالمَجْدِ ما تشْقى الحياةُ به ... فَيَحْسُدُ اليَوْمُ أمْساً، ضَمَّهُ الأزَلُ

الدراسات الأكاديمية وغير الأكاديمية التي رصدت

الأدب النسائي السعودي

لقد تفردت المرأة السعودية في كثير من مناحي الحياة، والمرأة السعودية التي برزت في مجال الأدب هي ثمرة مباركة من ثمار تعليم المرأة السعودية، ورعاية الموهبة الأصيلة في العديد من المجالات الإعلامية، والاجتماعية، والثقافية وغيرها.

وحديثي عن المرأة السعودية عامة، والأديبة خاصة هو حديث تطرب له نفسي؛ لذلك حدثتني نفسي، وحدثني بعض المهتمين بالشأن الثقافي أن أرصد الدراسات التي وثقت لأدب المرأة السعودية، فوجدت أن هناك معاجم ودراسات طبعت في هذا الشأن .

وأذكر من تلك الدراسات والأبحاث، التي يشكر أصحابها عليها؛ لالتفاتهم إلى أدب المرأة السعودية على سبيل الذكر لا الحصر ما سجلته مجلة (قوافل) الصادرة عن نادي الرياض الأدبي في أحد أعدادها القديمة، حيث نشرت بحثًا عن الكاتبات السعوديات .

ومن الدراسات دراسة بعنوان: (شعر المرأة السعودية.. دراسة في الرؤية والبنية) للدكتور فواز اللعبون، ودراسة بعنوان: (المكان والجسد والقصيدة المواجهة وتجليات الذات) للدكتورة فاطمه الوهيبي، ودراسة بعنوان: (شاعرات معاصرات من الجزيرة والخليج) للأستاذ سعود عبد الكريم، ودراسة بعنوان : (من مشاهير الجزيرة) للأستاذ عبد الكريم الحقيل، ودراسة بعنوان: (شاعرات من القصيم) للأستاذة نوال الثنيان، ودراسة بعنوان: (حداثة النص الشعري) للأستاذ الدكتور عبد الله أحمد الفيفي، وبحث بعنوان: (تجليات المقام والطواف في سرديات رجاء عالم) للدكتور عالي القرشي، وله أيضًا: (الذات الأنثوية في الخطاب الشعري النسوي في السعودية)، وبحث آخر بعنوان: (التشظي و الالتئام في نص المرأة)، و صدر للدكتور عالي القرشي دراسة بعنوان: (تحولات الرواية في المملكة العربية السعودية)، و (أسئلة القصيدة الجديدة)، وهناك دراسة بعنوان: (المكان في شعر ثريا العريض) للأستاذ مجدي الأحمدي، ودراسة بعنوان: (الزمن في شعر المرأة) للأستاذة نجلاء مطري، و(اللون في الرواية السعودية) للأستاذة مريم قبان، وكتاب : (دراسات في الأدب النسائي) للأستاذ أحمد بن إبراهيم الديولي والدكتور بسيم عبد العظيم عبد القادر

.(الأنساق الثقافية في تشكيل صورة المرأة في الرواية السعودية – أحمد المسعودي)

ومن الموسوعات، موسوعة بعنوان: (دليل الأدباء في دول الخليج العربي) للأستاذ عبد الرحيم الأحمدي، و (ديوان الشاعرات في المملكة العربية السعودية) للأستاذة ساره الأزوري .

ومن الدراسات كذلك رسالة دكتوراه بعنوان: (شعرية السرد في القصة السعودية) للدكتورة كوثر قاضي .

وهكذا فقد أشرت إلى بعض الدراسات و البحوث وهي أكثر من ذلك، ويمكن الرجوع في هذا السياق إلى أبحاث ودراسات كرسي الأدب السعودي .

فيُشكر الباحثون والباحثات على جهودهم المباركة وعنايتهم بأدب المرأة السعودية، التي أثبتت حضورها العربي والعالمي ..... فلك تحيتي أيتها المبدعة السعودية.

المرأة الأديبة في تراثنا الأدبي

هل للمرأة حضورها في الأدب العربي كالرجل ؟ وهل تفوقه، أو تقل في المستوى الأدائي للأدب ؟ وما السر وراء عدم اشتهار المرأة في أدبنا العربي القديم فيما عدا الخنساء، وأسماء معدودة جدًّا في أدبنا الحديث ؟ .

فالشاعرة العربية المخضرمة الخنساء فضَّلها النابغة الذبياني على الأعشى، وحسان بن ثابت .

وقد أنشدت الخنساء النبي محمد ﷺ شعرها.

فما السر وراء تفوق الرجل أدبيًّا -إن صحت هذه العبارة- مع أن المرأة أنبل شعورًا، وأقوى عاطفة ؟!.

لكن السؤال الملح: لماذا لم يكن للمرأة حضورها القوي في المشهد الأدبي العربي القديم خاصة كالرجل ؟!.

فنجد -مثلاً- نماذج كثيرة جدًّا لشاعرات عربيات في عدد كبير من مصادر تراثنا العربي بعامة، مثل: كتب التاريخ، كأسد الغابة لابن الأثير، وتاريخ الطبري، وغيرهما.

وكتب السيرة والأعلام، مثل: كتاب السيرة النبوية لابن ناصر الدين الدمشقي، وسير أعلام النبلاء للذهبي، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني .

وكتب اللغة والأدب مثل : تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، وخزانة الأدب للبغدادي، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والكامل في اللغة للمبرد، والبيان والتبين للجاحظ وغيرها .

فهذه المصادر وغيرها رجع لها أحد الدارسين المحدثين وهو الدكتور محمد التونجي في كتابه (شاعرات من عصر النبوة)، وهذا الكتاب على أهميته، إلا أنه اكتفى بذكر اسم الشاعرة ونموذج، أو أكثر من شعرها فقط، وكنت أتمنى لو نفذ المؤلف إلى استظهار جماليات هذا الشعر .

وفي رأيي أن السبب وراء عدم اشتهار المرأة الأدبية قديمًا كشهرة الرجل لأسباب

اجتماعية وهي أن المرأة لم تختلط كثيرًا بمن يمكن أن يحفظ شعرها وينقله، وعدم وجود منابر تناسب وضعها في المجتمع؛ وبالتالي لم تجد المرأة الأديبة من ينقل عنها كل ما قالته وأبدعته شعرًا ونثرًا . والمرأة في عصرنا الحديث أوفر حظًّا؛ لتوفر قنوات كثيرة تقدم من خلالها إبداعها عبر الصحافة والإعلام، والإصدارات الأدبية، والأندية والصالونات الأدبية، وأخيرًا عبر وسائل الاتصال الحديثة على الشبكة العنكبوتية، كالمواقع والمنتديات الأدبية، و اليوتيوب، ووسائل التواصل الاجتماعي الفيس بوك، وتوتير .

ونسب لشاعرة، كنازك الملائكة أنها أول من كتب شعر التفعيلة –وإن كان بعض الدارسين ينسبون ذلك لعلي أحمد باكثير أو للسياب– ، واشتهرت به أدبيات، كمي زيادة، وغادة السمان، وغيرهن كثير .

وفي الختام أدعو نفسي وبنات جنسي إلى الالتفات في أبحاثهن العلمية لأدب المرأة قديمًا وحديثًا، ولا يعد هذا –في نظري– تعصبًا أو تحيزًا للمرأة، لكني أرى أنه حق للمرأة المبدعة شاعرة كانت، أو كاتبة، وسيجد الدارس عندها عاطفة وفكرًا وأدبًا جميلاً يستحق الدراسة .

تعقيب على هذا المقال :

تعقب الأستاذة بدرية الفهمي بقولها :

« أرى أن الشعر فحولة، والفحولة –بطبيعة الحال– وصف ذكوري، لا يتناسب وطبيعة المرأة النفسية، والشعر يحتاج إلى ضرب من الغضب الذكوري والطرب الذكوري .. وضرب من الانفعال الذكوري الذي يجيش في الصدر، حتى يمتلئ به فيقذف به على الألسن –على حد تعبير صحار العبدي لمعاوية ﷺ– الشعر في أصله قدرة على التصوير تعوز المرأة؛ لأن هذا التصوير يتطلب دقة في الملاحظة وتؤدة وصبرًا وقدرة على الجمع بين المتباعدات، مما قد لا تحسنه الكثير من النساء .. ولا أنكر أن مشاعر المرأة جياشة، لكن سبيل التعبير عنها عندها ليست سبيل الشعر إلا فيما ندر، ولا شك أن قبس الشعر يحتاج إلى الانفعال ودفقة العاطفة وتأججها، لكن هذا لا يكفي؛ لأن إخراج هذا الانفعال شعرًا يتطلب معالجة عسرة، وصبرًا، وحسن تأت إلى المعنى ..، وقد أحسنت

الخنساء في غرض الرثاء تحديدًا .. والفحولة تقتضي تعدد الأغراض، ووفرة الشعر، وجودته في كل باب ... إلى غير ذلك مما جرى ذكره عند الأصمعي وابن سلام ...أما الشاعرة في رأيي فهي نازك الملائكة ..!!

أما نازك فقد تفردت بوصفها شاعرة وناقدة .. وكانت تعي طبيعة الشعر التقليدي، وتعي كذلك ما يحاول شعر التفعيلة أن ينفرد به عنه .. وكانت تنشئ الشعر عن وعي، وعن قدرة بيانية وملكة تصويرية رائعة .. وحتى اختيارها لموضوعات قصائدها كان فريدًا... رحمها الله رحمة واسعة ..!

شئنا أم أبينا المرأة كائن شعوري لا شِعري ..

قد لا يجد الباحث نماذج شعرية نسائية على امتداد تاريخنا الأدبي، التي يمكن أن تعد في عداد الرائق البديع إلا على سبيل التكلف .. أو إذا وازن شعر امرأة بامرأة .. أما إذا رام الموازنة بين شعر امرأة ورجل يوصف بالشاعر المحسن المجيد سيجد أن شعرها سيتهافت أمام هذه الموازنة ..!! هذا مع استثناء نازك من هذه المعادلة؟[1].

وتعقب الدكتورة خديجة أبكر بقولها :

« إن إصدار الأحكام الجاهزة لابد أن يقوم على دلائل وبراهين، وليس على العاطفة، أو مقياس التقاليد البعيدة عن الدين التي تحد من قدرات المرأة؛ خلافًا لما نجده في ديننا الحنيف من تقدير للمرأة واعتماد على ذكائها وحافظتها القوية في المصدر الثاني من مصادر التشريع، خاصة أن العدد الغزير من الأحاديث النبوية التي بني عليها كثير من الأحكام الشرعية الأساسية في ديننا روتها صحابيات جليلات .

فكيف بعد هذا نقول: إن المرأة غير مؤهلة لنظم الشعر، وهو أقل قيمة ودورًا من حفظها للأحاديث النبوية الشريفة بأسانيدها ورجالها ؟؟.

إن العملية الإبداعية لا ترتبط بالجنس، فالإبداع عملية إنسانية في المقام الأول، ولا يختلف الشعر النسائي عن الرجالي، من حيث تناوله لجميع الأغراض الشعرية من مدح، ورثاء، وهجاء، وحماسة في الحروب، وحكمة و .. و .. كما أنه لا يقل قيمة إذا نظرنا إلى لغته القوية الرصينة وبلاغته ومشاعره الإنسانية المتدفقة، وغيرها من المواصفات المطلوبة في الشعر الجيد .

(١) ملتقى البلاغيين والنقاد العرب، منتدى الأدب العربي.

لقد اشتهر في العصر الجاهلي ما يفوق مائة شاعرة عُرفن ببيانهن وجودة نظمهن، وكان شعرهن نقلاً للواقع الذي عاصرنه إلى جانب الرجل، ويمكن أن نذكر منهن ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ الشاعرة جليلة بنت مرة، وتماضر السلمية، وصفية بنت ثعلبة، وغيرهن كثيرات .

أما في العصر الإسلامي فقد اشتهر منهن ما يقرب من مائة شاعرة، ونجد كثيرًا من العلماء يعتمدون في استشهادهم على الأشعار النسائية، ونحن نعلم دور الشاهد الشعري وأهميته في الاحتجاج، ومن هؤلاء: السمين الحلبي في تفسيره (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون)، والجاحظ في (البيان والتبين)، وغيرهما، مما يبين أن علماءنا لم يفرقوا في تناولهم للشاهد الشعري بين شعر المرأة أو شعر الرجل .

أما عن شاعرات العصر الإسلامي، فهناك على سبيل المثال فقط : آمنة بنت وهب أم الرسول ﷺ التي كانت معروفة بفصاحتها، وحليمة السعدية، وعمات الرسول ﷺ: عاتكة، و صفية، وبرة، وأميمة، و أروى، ورقية، وأم كلثوم، وأم حكيم كلهن كن شاعرات مفوهات، وأسماء بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وخديجة بنت خويلد، وكذلك بنات الحسين: الرباب، وسكينة، وفاطمة كنَّ ينظمن الشعر، هذا بالإضافة إلى شاعرات آخريات، كأميمة بنت عبد شمس، وجويرية بنت قارط، وخولة بنت الأزور، ودرة بنت أبي لهب، وعمرة بنت رواحة، ونُعم بنت ثابت، وهند بنت عتبة، وأم الغفاري، ورابعة العدوية، وعائشة بنت المعتصم، وصفية البغدادية، وأم عوف زوجة أبي الأسود الدؤلي، وولادة بنت المستكفي و .. و .. وغيرهن كثيرات.

أما في العصر الحديث فقد برزت شاعرات مغربيات، وتونسيات، وفلسطينيات، وعراقيات، ومصريات، ومن شتى البلدان العربية، منهن: فدوى طوقان، ونازك الملائكة، وسنية صالح، وصباح الخراط الزوين، ووفاء العمراني، وسعاد الصباح، ودنيا ميخائيل، والسعدية مفلح، وفوزية أبو خالد، وسليمى رحال، وعائشة أرناؤوط، وجمانة حداد، و .. و .. إلخ .

إن هذه الأمثلة الكثيرة لم أذكر فيها إلا النَّزر القليل من الشاعرات العربيات ليس بدافع التعصب للمرأة، ولكن من باب وضع الأمور إلى نصابها، وتوضيح ما غاب عن البعض، فإن دلت هذه النماذج على شيء فإنما تدل على أن النساء

الشاعرات جديرات بالتقدير وعدم التهميش –خاصة من بنات جنسهن– وأن الشعر يجب أن يمجد صاحبه، سواء كان رجلاً، أو امرأة .[1]

(١) ملتقى البلاغيين و النقاد العرب ، منتدى الأدب العربي .

حرروها من أسرها ... فكوا عنها قيودها

الرسائل العلمية المجازة علميًّا لها مكانتها وقيمتها العلمية والثقافية، وهي تكتسب أهميه خاصة لا لتزامها خطوات المنهج العلمي في الدراسة والبحث، ووقوف أكثر من عقل خلف إنجازها، فالباحث هو الرئيس في تأليفها، إلا أنه يقف خلفه المرشد، والمشرف الذي قد يكون واحدًا أو أكثر، ثم لجنة الحكم والمناقشة.

إن مثل هذه الرسائل العلمية لا ترى النور إلا بعد قدح زناد العقل، وتقتطع زمنًا من عمر صاحبها يعيش معها قلبًا وقالبًا، حتى وإن غفل، أو تغافل عنها فإن همها يقوم ويقعد معه.

ولاشك في أن مثل هذه الرسائل تزيد المخزون المعرفي لصاحبها في مجال تخصصه، وتكسبه مهارات إضافية وخبرة في البحث العلمي، ويرتقي الباحث في سلمه العلمي، ويفترض أن يفيد من هذه الدراسات الباحثون الجدد، وطلاب العلم في نفس التخصص .

ومن أعجب ما أعجب منه أن بعض هذه الرسائل العلمية المعتبرة ما تزال في الأسر، وتفرض عليها القيود التي تمنع الباحثين وطلاب العلم من الإفادة منها على الوجه الأمثل، فقد يحتاج الباحث في بحثه لمرحلة الماجستير، أو الدكتوراه للإفادة من بعض الرسائل، وعندما يجد بعضًا منها في المراكز العلمية ومنارات العلم والثقافة يفاجأ بأمرين أحلاهما مُر.

فإما أن يقال له هذه الرسائل لدى المراكز الثقافية، وأصحابها لا يريدون أن يصور منها، أو يُنقل منها شيء خشية السرقة العلمية، وللمحافظة على الملكية الفكرية، أو يجد في بعض الجامعات بعض الرسائل العلمية التي يحتاجها، وعندما يحاول التصوير منها لا يسمح إلا بتصوير عشرين ورقه فقط، وقد تزيد أو تنقص في بعض الجامعات، وعليه أن ينقل بخط يده، وبالطبع لن يجد فسحة من الوقت لكتابة كل ما يريد، في الوقت نفسه تفرض عليه الكلية التابع لها بجامعته بمجلسها العلمي عند تقديم خطة البحث عليه أن يكتب عن الدراسات السابقة في بحثه ما توصلت إليه، وما أفتقرت إليه، وما يمكن له أضافته في بحثه.

ولكن أنى له ذلك والرسائل العلمية في أسرها تفرض عليها قيود لا مبرر لها؟!

أليست هذه الرسائل مجازة علميًّا لصاحبها ومسجلة باسمه ؟!، أليس لدى الجامعات في الدول العربية ومراكز البحوث ما يحفظ للباحثين والدارسين حقوقهم العلمية والفكرية ؟ ...

لذلك، فإنني أدعو دعوة صادقة تنشد النفع وعموم الفائدة لطلاب العلم إلى وجود آلية لدى الجامعات العربية ومراكز البحوث تحرر الرسائل العلمية من أسرها، وتفك قيودها، وتطمئن أصحابها على حقوقهم العلمية والفكرية، وتضمن إفادة طلاب العلم منها، بل، لماذا لا يسعى أصحاب العلاقة، ويدعمون نشر هذه الرسائل العلمية في كتب مطبوعة تكون في متناول يد طالب العلم بيسر وسهولة؟

الهموم الكبيرة للباحث

يمثل البحث لدى الباحث روح حياته، وصدى وجوده، ومعنى كيانه. وأن ينجز بحثًا، ويراه على خارطة الوجود، فهذا يعني أنه موجود، ولا يزال يتنفس الهواء النقي الذي يروق له.

وإذا كان الباحث يعتقد بأهمية بحثه في خدمة التراث العربي والإسلامي. وهنا لا أعني بكلمة (تراث) الماضي بالضرورة، وإنما هو امتداد هذا الماضي المعرفي والثقافي والحضاري الذي يجعل للإنسان والأمة حضارة تنسب لها بين الناس وبين الحضارات، وإنه يبذل الغالي والرخيص في سبيل بحثه.

وطريق الباحث ليس مفروشًا بالورد، كما يعتقد بسطاء الناس. ولا أبالغ لو قلت: إنه كثيرًا ما يكون مفروشًا بالأشواك، والكثير من المعوقات. فالباحث يواجه العديد من المعوقات الاجتماعية، والثقافية، والنفسية. أما الاجتماعية فإن الباحث كأي إنسان له حقوق اجتماعية، وعليه واجبات اجتماعية يجد أن من ضرورة وجوده وواجبه في الحياة القيام بها، كالواجبات الزوجية، والأسرية، والعلاقات الاجتماعية.

وإذا حاول العزلة قليلاً لإنجاز بحثه قد يتهم بالقطيعة، وعدم القيام بما عليه، أو إهمال أمر مفروض عليه.

ومن المعوقات الاجتماعية البارزة كذلك عدم احتفاء كثير من العوائل والأسر بابنها،أو بنتها ، إن كانا من الباحثين أو من الذين يحملون بين جوانحهم همومًا ثقافية وأدبية وعلمية الاحتفاء الملائم، وعدم تقديره التقدير المناسب، ولربما تعرض في بعض الأحايين لشيء من السخرية على ما يقوم به، على العكس مما لو كان هذا الابن لاعب كرة قدم —مثلاً– فستكون الحفاوة والتقدير له أكثر بكثير.

وهذه مشكلة حقيقة يشعر بها الباحث، ولربما أرقت مضجعه. أضف إلى ذلك أنه قد يتهم بالكسل والتباطؤ في إنجاز البحث لو تأخر في ذلك من عامة المجتمع الذين لا يعرفون شيئًا من الأمور المتعلقة بالبحث، وبالتالي يُشحن نفسيًّا، ويتألم لهذا الإهمال، أو التقصير، أو التباطؤ، خاصة إذا كان يعاني فعلاً من مشكلة نفسية وبحثية في حالة عزوف وانصراف كلي، أو جزئي خارج عن إرادته في الإقبال على البحث والانغماس فيه .

أضف إلى ذلك وجود مشكلة اجتماعية قد تكون نسبية، ولكن لا شك في وجودها، وهي قلة ذات يد الباحث في الحصول على المصادر والمراجع عن طريق الشراء، أو تقصير بعض الجهات الثقافية العامة في توفير هذه الخدمة، وإن كان ذلك نادرًا ما يحدث؛ لأن المكتبات العامة في مملكتنا الحبيبة، وفي جامعاتنا السعودية وربما العربية، ومراكز الدراسات والبحوث لا تألو جهدًا في خدمة الباحث، وتشعر بالسعادة حين تقدم له هذه الخدمة المعرفية والثقافية. لكن هذا لا يعني أن الباحث قد يحتاج لبعض المراجع التي لا تتوفر في المكتبات العامة ومراكز البحوث، وإذا ما بحث عنها في المكتبات التجارية قد لا تتوفر له.

فضلاً عن حاجة الباحث لبعض الدراسات والرسائل العلمية التي قد لا تتوفر له، وقد يشعر الباحث بالعزوف عن البحث جزئيًّا، أو كليًّا، فيظل يتألم لهذه المشكلة، حتى إذا شاء الله —تعالى– له الشفاء من هذا المرض العضال انبسطت أساريره، وأشرقت الدنيا من حوله؛ لأن حمله كان ثقيلاً، وهمه كان كبيرًا، فيقبل على بحثه بشهية مفتوحة، ويجاهد نفسه في إنجازه.

ختامًا.. أتمنى أن أكون قد رصدت أهم الهموم الكبيرة للباحث وأنا لا أتحدث من فراغ، وإنما من خلال تجربة ومعاناة.

محمود شاكر العلم الذي لم يرحل

إن أول الكتب التي أبهرتني بالبلاغة العربية وجمالها كتابان في أصول البلاغة العربية، لا غنى لطالب البلاغة العربية ومحبها عنهما، وهما: كتاب (أسرار البلاغة)، و(دلائل الإعجاز)، وهما من تحقيق الشيخ محمود شاكر، وقام فيهما بجهد كبير في التحقيق .

وقد شاء الله—تعالى–لي أن أتعرف أكثر على أبي فهر من خلال كتابه الرائع:(نمط صعب ونمط مخيف)،وفي الحقيقة فقد أبهرني الرجل، وأعجبني منذ قراءة الصفحات الأولى من هذا الكتاب في فكره وأسلوبه الأدبي الرائع والمتسلسل في معالجة القضية الأدبية التي يعرضها، ولعل هذا المقال يكون بداية أولى لسلسلة من المقالات أفصح فيها عن انطباعي وتقديري لما سطرته أنامل شيخنا الجليل(محمود محمود شاكر).

دعوني الآن أدلف إلى مقدمة كتابه (نمط صعب ونمط مخيف)، حيث يفصح عن الأسباب التي دعته إلى تأليفه، وما ستدور عليه رحى البحث البلاغي والأدبي فيه، وعلى الرغم من مقدمته الموجزة، إلا أنه قد اختصر فيها الكتاب كله في سطور قليلة جدًّا.

ومما يقوله في المقدمة: «وبعد : فهذا كلام بعيد العهد، كتبته استجابة لهوى صديق قديم هو أخي (يحيى حقي) – رحمه الله – وهو ما يتصل بقصيدة تأبط شرًّا: «إِنَّ بِالشّعبِ الذي دونَ سلعٍ» وما أورده من أسئلة تتعلق بهذه القصيدة المنسوبة إلى تأبط شرًّا، وبعض هذه الأسئلة يتعلق بترتيب أبيات القصيدة، الذي اقترحه الشاعر الألماني (جوته) حين ترجم القصيدة إلى الألمانية، وبعضها يتعلق بالشعر القديم وروايته عامة، ثم ما بناه بعضهم على ذلك من افتقار القصيدة العربية إلى الوحدة الموضوعية...، وقد نشرت هذا الكلام كله في سبع مقالات، بمجلة (المجلة) عامي (١٩٦٩–١٩٧٠م)» [1].

ففي المقالة الأولى يبدأ بمراجعة يحيى حقي فيما كتبه في فاتحة المجلة (عدد مارس ١٩٦٩م) في شأن صاحب الاسم المخيف (تأبط شرًّا)، وترجمة جوته الألماني للقصيدة، وما أضفت هذه الترجمة على القصيدة العربية من جمال مراجعة لا تبقي ولا تذر، ثم يتشعب به الطريق إلى الحديث عن رواية الشعر القديم في الجاهلية والإسلام حديثًا متسلسلاً جميلاً يتتبع الرواية من بداياتها الأولى حتى عصر انتشار الورق وتوافره في الحواضر، فيما بين القرن الأول للهجرة إلى أواخر القرن الثالث.. ويقول :

«وصيغة هذه الرواية التي استقرت، ينبغي أن تكون واضحة كل الوضوح، حتى

(١) نمط صعب و نمط مخيف، أبو فهر، محمود محمود شاكر ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني: القاهرة، جدة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص١–٣.

لا تقع في الحيرة عند البحث عن المنهج العلمي الذي ينبغي اتباعه في أمر الشعر القديم كله»[1] .. في سياق كلام رائع في هذا الموضوع يعجب، ويفيد، ويقود إلى تلمس الطريق الصحيح في رواية الشعر ونسبة القصائد إلى أصحابها .

و يذكر شيخنا أبو فهر أن الرواية أصيبت ببلاء قديم و ببلاء حديث .

فالبلاء القديم هو جهله من النساخ القدماء الذين أحدثوا بجهلهم خللا شديدا في دواوين الشعر إلى آخر ما قال في هذا الشأن، ثم يذكر البلاء الحديث الذي جاء في عهد المطابع ونشر الكتب مطبوعة، حيث تولى نشرها من لا يحسن من هذا شيئًا ولا يبالي به ... ثم يقول ما نصه : «ولولا بعض ما تولاه المستشرقون من طبع بعضها طبعًا مقاربًا للأصل؛ لوفرة ما عندهم من الأصول التي فقدناها، لازداد الأمر فسادًا»[2]..

وأمام هذه الكلمة أجدني أقف طويلاً متأملة متحيرة لا أرد جوابًا،لا أعلم ماذا أقول! فسرُّ فَقْدِنا لهذه الأصول معروف من القديم، لكن هل أثمرت كلمة شيخنا محمود شاكر التي أطلقها منذ أكثر من ثلاثين عامًا مضت؟ وهل فعلنا شيئًا لنسخ أو شراء تلك الأصول، وهل تحرّى دارسو الشعر مثل هذه الدقة التي دعا لها عالمنا ؟..حقيقة لا أعلم بمزيد من الدقة مثل هذه الأمور، ولم يتناه إلى علمي خبر يقين عنها .

فالسؤال المطروح بقوة هو: هل أثمرت دعوة الشيخ محمود شاكر أو لا ؟

ختاما: إننا أمام قامة علمية شامخة، يا ترى هل يجود الزمان بمثلها؟

(١) المرجع السابق، ص ٣٣ -٦٢.
(٢) المرجع السابق.

البلاغة العربية نكهة علوم العربية وطعمها الخاص

قد أكون في كتابتي لهذا المقال غير محايدة، أو مدفوعة بعاطفة قوية تجاه البلاغة العربية بحكم التخصص أكثر من باقي علوم هذه اللغة الأصيلة التي نزل بها القرآن الحكيم، لكن وجدت أن البلاغة أكثر العلوم التي تسبر أغوار النص الأدبي، وأكثرها دراسة للنظم القرآني المعجز في محاولة من علماء التراث البلاغي؛ للوصول إلى أسرار إعجاز القرآن العظيم. والقرآن كتاب معجز في نواح عديدة، منها: الإعجاز البلاغي الذي كان وسيلة التحدي للعرب البلغاء، وفي محاولة العلماء للوصول إلى سر الإعجاز القرآني صنفوا مصنفاتهم البلاغية، سواء في الإعجاز القرآني خاصة، أو النصوص الأدبية الأخرى، كالحديث النبوي الشريف الذي يأتي في المرتبة الثانية من البلاغة العربية، أو شعر العرب وهم في كل يلتمسون جماليات هذه النصوص اللغوية .

وقبل الشروع في ذكر سبب نعتي للبلاغة بأنها نكهة علوم العربية وطعمها الخاص أود أن أذكر نصًّا مهمًّا لأبي هلال العسكري المتوفى نهاية عام ٣٩٥ هجرية؛ ذلك القرن الذي أخذت كثير من العلوم العربية الإسلامية تنضج فيه وتتشكل، حيث يقول: «إن أحق العلوم والمعارف وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله -جل ثناؤه- علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة " إلى آخر ما قال من الثناء على هذا العلم الجليل.

وبالنظر إلى باقي فروع العربية، كاللغة —مثلاً- فالمعروف أن اللغة -كما قال العلماء- إما اصطلاحية النشاة انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[1]، أو ربما -كما تقول طائفة أخرى، كابن جني- نتيجة للأصوات التي يسمعها الإنسان من الأشياء والكائنات من حوله، وهذا الرأي له قدره من الوجاهة، لكن العلم القرآني أولى بالتصديق والتسليم، وإن كنت أعتقد بجواز الرأيين مجتمعين.

فالدارس للغة قد يدرس الظواهر اللغوية في اللغة العربية، وهي كثيرة، كالإبدال، والنبر، وغيرهما دراسة لا يستعمل كثيرًا فيها الذوق، وإذا ما حدث شيء من التذوق

(١) سورة البقرة، الآية ٣١.

للظاهرة اللغوية فسيكون أدخل في باب البلاغة؛ فحينما علل ابن جني ظاهرة النبر بالمقام الذي يكون فيه المتحدث فهذه بلاغة؛ لأن البلاغة-كما قال المتأخرون من البلاغيين: (ملائمة الكلام لمقتضى الحال).وهذه كلمة عميقة المعنى عند البلاغيين، ودراسة الظواهر النحوية قد لا تخرج عن أمرين السماع، أو القياس، فهي تحتاج من الدارس إلى معرفة النصوص العربية السابقة التي بنى النحوي قاعدته النحوية (السماع، أو القياس على هذا السماع)، وهذه عملية قد تحتاج إلى جهد عقلي أكثر منه ذوقي، ثم البلاغي قد ينطلق من كلام عالم النحو واللغة للوصول إلى أسرار الكلام البليغ؛ فهذا الشيخ عبد القاهر الجرجاني ينطلق في أكثر من مسألة بلاغية من بعض أقوال سيبويه، كقوله: '' إنهم يقدمون الذي بيانه أهم، وهم بشأنه أعنى''، فذهب يقيم أبحاثه في التقديم والتأخير وأسرارها في بلاغة النص الأدبي على هذه العبارات القصيرة لفظًا العميقة معنًى، والأدب: شعره، ونثره هو المادة التي يعمل فيها البلاغي علمه ويطبقه، فالبلاغة تخدم الأدب والأديب، سواء أكان مبدع النص ذاته، أم الناشئ الذي يتعرف عن طريق البلاغة على جماليات هذا النص .

والبلاغي في ذلك لا يختلف كثيرًا عن الناقد، فهو—أيضًا- ناقد، والبلاغة أكثر صلة بالنقد، لكن البلاغة أكثر حركية من النقد؛ لأنها تطوع هذه النظريات النقدية وتستثمرها بشكل تطبيقي، والمقولات النقدية في اللفظ والمعنى، وفي أي منها بلاغة النص استثمرها البلاغيون في استنتاج جوهر البلاغة.

فالجاحظ يقول: ''المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العربي والعجمي، والبدوي والقروي، إنما الشعر صياغة وضرب من النسج وجنس من التصوير''، فهذه العبارة وغيرها من عبارات الجاحظ الثمينة استثمرها بلاغي ذكي، كالإمام عبد القاهر الجرجاني في الوصول إلى جوهر البلاغة وإيضاح الصورة الواضحة والمقنعة في هذه القضية، حين اشتغل على النظم وبنى عليه نظرته؛ فعلوم اللغة العربية جميعًا متكاملة ومترابطة، ولا يستغني بعضها عن بعض، لكن البلاغة —في ظني- هي الوعاء الحاوي لهذه العلوم .

ومقولة:''ما ترك السابق للاحق شيئًا'' مقولة خاطئة-ولا شك- ولا أعني بذلك أن علماء البلاغة القدماءلم يضعوا الأصول والأساسيات للدراسات البلاغية الحديثة إطلاقًا، لكن قد يجد الدارسون المحدثون صورة لم تكتمل كثيرًا في بعض المسائل—مثلاً- الدلالة الصوتية للكلام وأثرها في جمال النص، خاصة في كلام المولى -عز وجل- وسيجد إشارات في ذلك عند الجاحظ، وابن جني، وابن سنان الخفاجي، وابن الأثير تضيء له الطريق في دراسته البلاغية الحديثة.

وأعجب من افتتان بعض الدارسين، والنقاد المحدثين بالنظريات والمناهج النقدية الحديثة في دراسة النص الأدبي، مع أن في تراثنا البلاغي والنقدي كنوزًا ثمينة تستحق استثمار الباحثين واشتغالهم بها، وليس معنى هذا أنني ضد المعاصرة والاستفادة منها، لكن ضد النظرة القاصرة لبلاغتنا العربية ونقدنا العربي الثر، ولا مانع من توظيف هذه النظريات والمناهج الحديثة بما يتناسب مع لغتنا وتراثنا الخاص بنا، فبعض هذه المناهج الحديثة قد تناسب ثقافات أصحابها، ولا تتناسب مع خصوصيتنا الثقافية.

وهناك بعض النقاد يرون منهجًا وسطًا في الجمع بين الرؤية التراثية والحديثة والتوفيق بينهما والخروج برؤية جديدة –وهو منهج جيد ولا شك– والكلام في هذا الموضوع قد يطول، وقد يتصدر للحديث عنه علماء أفذاذ من علمائنا المحدثين أقدر وأجدر مني لمثل هذا الحديث، ومع ذلك فإن تراثنا غني لمن أراد الغنى، وزاد لمن أراد التزود .

قراءة نقدية في كتاب : البديع في ضوء أساليب القرآن

يعد هذا الكتاب من الكتب الحديثة في الدراسات البلاغية، وستقتصر الدراسة بعون الله –تعالى– على حصر الفنون البديعية في هذا الكتاب ومناقشة مبحث، أو فن بديعي واحد من هذه المباحث والفنون، وهو فن (السجع)، وكيف كانت معالجة المؤلف لهذا المبحث في ضوء أساليب القرآن الكريم، وكيف درس هذا المبحث أحد علماء البلاغة القدماء الكبار وهو(الباقلاني)في كتابة (إعجاز القرآن)، وكيف درسه أحد الدارسين المحدثين، وهو الدكتور زكي مبارك في كتابه (النثر الفني في القرن الرابع الهجري).

بداية أقول: إن من أهم المباحث البديعية في كتاب الدكتور عبد الفتاح لاشين، والتي قسمها على وفق تقسيم الدارسين المحدثين إلى محسنات بديعية معنوية، ومحسنات بديعية لفظية؛ وذلك لتسهيل الدراسة ليس إلا؛ لأن المؤلف لا يعتقد بصحة هذا الفصل، حيث في هذا التقسيم لتلك الألوان البديعية من لفظية: يرجع جمالها إلى اللفظ والصورة والشكل. ومعنوية: يرجع جمالها وحسنها إلى المضمون والمعنى، تقسيم لم يجالفه التوفيق؛ لأن ذلك فصل للجسم عن الروح، والروح عن الجسم؛ وذلك لأن جمال الألفاظ في تعلقها بالمعاني، وحسن المعاني في وجودها في تركيب، وتلك النظرة التكاملية الفنية كثيرًا ما أكدها الإمام عبد القاهر الجرجاني، فالحسن الحقيقي للكلام لابد أن يكون من اللفظ والمعنى، ويشارك فيه كل من اللفظ، والمعنى. ومع أنه يرفض هذا التقسيم، إلا أن يطبقه في كتابه، وليس لذلك مسوغ سوى تسهيل الدراسة والبحث .

فمن المحسنات المعنوية التي درسها الدكتور عبد الفتاح لاشين، الطباق وأقسامه، والمقابلة، وائتلاف اللفظ مع اللفظ، ومراعاة النظير، والمذهب الكلامي، والمشاكلة، وتجاهل العارف، وتأكيد المدح بما يشبه الذم بأنواعه، وتأكيد الذم بما يشبه المدح بأنواعه، واللف والنشر، وصحة الأقسام، والجمع والتفريق، والجمع مع التفريق، والاستقصاء، والتوجيه، والتورية بأقسامها، والمزاوجة، وحسن التعليل، والاستدراج، والتجريد وصوره .

والمحسنات اللفظية درس فيها السجع، ولزوم ما لا يلزم، والجناس، ورد الأعجاز على الصدور، وبراعة الاستهلال .

وفي آخر الكتاب خرج المؤلف عن موضوع الكتاب، فتحدث عن السرقات

الشعرية، والبديع بين الذاتية والعرضية، والبديعات، وإن كان قد تعرض بشيء يسير إلى بعض آيات القرآن الكريم.

أما دراسته لمبحث السجع، والذي سأقف عنده،فكان كالتالي: حيث ذكر المؤلف في بداية حديثه عن السجع أن الخطاب القرآني لأهل مكة اقتضى تتابع السجعات الرنانة المدوية القصيرة، وهذه إشارة إلى أن ذلك كان من وسائل جذب أسماع أهل مكة-وهم على الشرك- إلى هذا الكتاب الذي جاء لهداية البشرية جمعاء، وهذا رأي سديد من المؤلف، وإن لم يكن السجع الأداة الوحيدة لهذا، فالقرآن الكريم بكل ما فيه من لغة ومعان كان قوي الجذب لكل من سمعه والقصص في ذلك عديدة .

وضرب الدكتور عبد الفتاح لاشين أمثلة للسجع في القرآن العظيم قبل أن يعطي القارئ تعريفًا له، ووصف هذه السجعات وصفًا جميلاً، ولم يوقف القارئ على التعريف الدقيق لهذا الفن البديعي، لكنه ما لبث أن سارع إلى تعريفه، وقد استند في تعريفه للسجع في اللغة إلى مراجع اللغة والبلاغة الأصلية .

وفي تعريفه له في الاصطلاح، فقد عرَّفه تعريفًا معاصرًا لأحد المحدثين، ولعله لو ذكر تعريفًا لأحد البلاغيين القدامى لكان الأفضل لتقدمهم في هذا العلم.

بعد ذلك ذكر الباحث مراحل تطور السجع، وأنه كان سنَّة بين العرب في الجاهلية، وذكر نماذج لذلك، ثم حدث أن نزل القرآن فنبذوا أساليبهم الكلامية .

وذكر سجع مسيلمة الكذاب، وأشار إلى سجع النبي -ﷺ- وأنه لم يكن حفيًّا بالسجع، ولا يحرص عليه، إلا أنه قد يقع في كلامه إذا توجه الخطاب للوجدان والمشاعر بالعظات، ثم أشار الباحث إلى الموضوعات التي يكثر فيها السجع، وأنه كان حاضرًا في أسلوب العرب في هذه الموضوعات حتى أواسط القرن الرابع الهجري، حيث امتزج العرب بالعجم، وأدى ذلك إلى فساد لغتهم، فكان تكلف السجع والصنعة . واستمر هكذا حتى عصر النهضة الحديثة، حيث أدت عوامل النهضة إلى الاسترسال .

ولعل المؤلف الفاضل لو استغنى عن الحديث عن السجع في عصور اللغة لكان أولى، ولو دلف المؤلف مباشرة إلى تعريف السجع وأقسامه ودراسته في القرآن خاصة، وأن الكتاب يتناول بالدراسة مباحث بديعية كثيرة، وليس للسجع فقط، ثم درس المؤلف أنواع السجع واصفًا لكل نوع ضاربًا أمثلة من القرآن العظيم، ولعل المؤلف الفاضل لم

يوضح هذه الأوصاف التي توقف القارئ على أهمية السجع في القرآن الكريم، خاصة في خدمة المعنى على أن جميع الآيات القرآنية التي ذكرها، ووقف عندها للتحديد الشكلي للسجع فقط، وكنت أتمنى لو حاول أن يحلل الآيات الكريمة تحليلاً عميقًا يحاول أن يصل إلى القيمة البلاغية للسجع في خدمة المعنى الذي أراده النص القرآني المعجز.

ثم ينتقل الباحث إلى دراسة استقلال السجعة بمعناها، وما ذكره ابن الأثير في ذلك والعلماء الذين ساروا على هديه، وذكر بعد هذا المبحث منزلة السجع من البلاغة، وذكر آراء البلاغيين في السجع .

ولعل الباحث الفاضل لو استغنى عن ذكر هذين المبحثين تلافيًا للإطالة لكان أولى؛ لأن السجع ليس المبحث الوحيد في الكتاب، وهذا الاستعراض التاريخي للسجع لم يكن مغنيًا للبحث، وكان يهم القارئ في المقام الأول معرفة السجع في ضوء أساليب القرآن العظيم الذي جاء في آخر دراسة المؤلف للسجع في صفحات قليلة جدًّا، ولعل المؤلف الفاضل -في ظني- لو استفاد من هذه الصفحات الإرهاصية الكثيرة، ونفذ إلى صلب الموضوع لكان أولى وأنفع للقارئ لأهمية عنوان البحث والدراسة.

استشارة الباقلاني في (إعجاز القرآن) و الدكتور زكي مبارك في (النثر الفني في القرن الرابع الهجري)

يختلف الباقلاني مع الدكتور عبد الفتاح لاشين في فكرة وجود السجع في القرآن الكريم، وينفي ذلك في أكثر من موضع في كتابه في الفصل السادس، حيث يقول تحت عنوان: (الصحيح أنه لا سجع في القرآن)، ''وهذا الذي يزعمون غير صحيح، ولو كان القرآن سجعًا لم يقع بذلك إعجاز''، فهو بذلك يخالف الدكتور عبد الفتاح لاشين الذي يقر السجع في القرآن، ولا يتحرج من إطلاق هذه الكلمة التي يتحرج منها بعض البلاغيين قديمًا وحديثًا، ويرون أن الأولى إطلاق كلمة (الفاصلة) على ما في القرآن .

من ناحية أخرى فالباقلاني يقول تحت عنوان: ''ما قدروا أنه سجع فهو وهم.. لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن، لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى'' ، وإن كان الدكتور عبد الفتاح لاشين جعل ذلك من صفات قبح السجع .

أما الدكتور زكي مبارك، فالذي يظهر لي أنه في كتابه يوافق الدكتور عبد الفتاح لاشين في هذه القضية، فيقول في جملة ما قال: '' ومن الواضح أن شبهة من كرهوا السجع ساقطة، لأن القرآن سجع''.

السرقات الأدبية هضم لحقوق الأديب وظلم له

تعد قضية السرقات الأدبية، من القضايا التي شغلت النقاد قديمًا وحديثًا، وأحسب أن الانشغال بها لا يزال، وسيبقى مع الزمن، مادام هناك شعراء وأدباء مبدعون ومتميزون، وآخرون من الشعراء والأدباء يطمعون لبلوغ منزلة هؤلاء المبدعين، قال الشاعر الأخطل: ''نحن-معاشر الشعراء- أسرق من الصاغة'' (١).

وفي النقد العربي أسماء عديدة للسرقات الشعرية، وهي :

'' الاجتلاب، الانتحال، الانحال، الاهتدام، النسخ، الإغارة، المرافدة، الاسترفاد، الاستلحاق، الاختلاس، نقل المعنى، السرق، الغصب، الإلمام، الملاحظة، النظر، المشترك، المبتذل، المختص، السلخ، الادعاء، الموازنة، العكس، الموارده، التلفيق، الاجتذاب، والتركيب، كشف المعنى، المجدود، سوء الاتباع، تقصير الأخذ من المأخوذ منه، الاستيعاب، نظم النثر، المعاني العقم، تكافؤ المتبع والمبتدع في إحسانهما، إحسان الأخذ، نقل المعنى إلى غيره، تكافؤ التابع والسارق في الإساءة والتقصير'' (٢).

ومن الكتب النقدية المهمة الحديثة التي ترشد القارئ إلى مواقف النقاد العرب القدامى إلى قضية السرقات في مصنفاتهم وكتبهم، كتاب (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) للدكتور إحسان عباس ، حيث نقد الشعر من القرن الثاني الهجري حتى القرن الثامن الهجري، وهو كتاب مهم في تناول تاريخ النقد العربي في هذه الفترة، أي الفترة المحددة بين الأصمعي وابن خلدون، في مشرق العالم الإسلامي ومغربه(٣).

وتعد محاولات أبو العباس المبرد في كتابه (الكامل) من المحاولات المبكرة في تناوله لقضية السرقات، واستمر تناول النقاد العرب القدامى لهذه القضية في نقد القرن الرابع الهجري، وكان المتنبي من أكثر الشعراء الذين اتهموا بالسرقات من قبل النقاد .

ومن النقاد الذين تناولوا السرقات في هذا القرن: الحاتمي، ومن كتبه (حلية المحاضرة) وغيره. ويذكر من أبواب السرقة: باب الانتحال: وهو أن يأخذ الشاعر أبياتًا لشاعر آخر كما فعل جرير :

(١) الموشح، للمرزباني، ص٢٢٥.

(٢) العمدة لابن رشيق القيرواني، ج٢، ص١٠٣٧ – ١٠٥٩.

(٣) انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د .إحسان عباس، ص١١، وقد استفدت منه في الفترة المحددة.

إِنَّ الذيـن غَـدَوْا بُلِّبـكَ غـادَرُوا وَشَـلاً بِعَيْنِـكَ مَـا يَـزَالُ مَعِينَـا
غيَّضْـنَ مِـنْ عَبَرَاتِهِـنَّ وقُلْـنَ لـي مَـاذَا لَقِيـتَ مِـنَ الْهَـوَى ولَقِينَـا

أما الانحال فهو أن يقول شاعر، أو راوية قصيدة، ثم ينحلها شاعرًا آخر، حيث عد الحاتمي منها تسعة عشر بابا .

ومن العلماء الذين تناولوا قضية السرقات: الصاحب بن عباد، وابن وكيع -وكان لهما موقفهما في الكشف عن سرقات أبي الطيب المتنبي-والقاضي الجرجاني الذي اعتمد على الآمدي في قضية السرقات، وامتد الاهتمام بقضية السرقات إلى القرن الخامس الهجري عند الثعالبي والعميدي .

كذلك تناولها الإمام عبد القاهر الجرجاني، وتناولها -أيضًا- الأدباء في أعمالهم الأدبية، مثل: أبي العلاء المعري في (رسالة الغفران)، نصه الأدبي والبلاغي والنقدي واللغوي الرائع .

ومن كتابات المحدثين عن قضية السرقات كتاب (الديوان) للعقاد والمازني اللذين اتهما فيه أحمد شوقي وحافظ إبراهيم بالسرقة الأدبية .

أما الاقتباس: فهو أن يضمن الأديب نصًّا، سواء كان شرعيًّا، أو أدبيًّا، أو غير ذلك، مع الإشارة إلى صاحبه ومرجعه فلا غبار على ذلك.

واتفق مع الإمام عبد القاهر الجرجاني أنه ليس من السرقة أن يأخذ الشاعر معنى عاريًا من شاعر آخر، ويكسوه صياغة جديدة ولفظًا جديدًا من عنده، فيكون هو الأحق به .

وقد أشار الإمام إلى ذلك في كتابه (دلائل الإعجاز) [1].

أتمنى أن يكون جميع الأدباء مبدعين مخلصين مخترعين لصورهم وصياغاتهم الأدبية، وأن لا يسطوَ مبدع على أي نص إبداعي لأديب آخر؛ حتى يستحق المبدع لقب الإبداع عن جدارة .

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص٤.

أدب الرحلات

الإنسان بفطرته يرحل طلبًا للرزق، بحثًا عن الماء، والكلأ، قال الله تعالى: ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[1]، أو ربما طلبًا للعلم والمعرفة، أو للترويح والتنفيس عن النفس. والمقولة الشهيرة تذكر فوائد السفر، منها لطلب الرزق، وتحصيل العلم، والاكتشاف، والترفيه، ورؤية بلاد جديدة، واكتساب مزيدٍ من العزة عند الأهل، وطلب الشفاء والعلاج.

وقد ظهرت الكتابة في أدبنا العربي في أدب الرحلات بعد الهجرة النبوية والفتوحات الإسلامية إذ فتح العرب المسلمون القلوب قبل البلاد، فتأثروا وأثروا في البلاد التي فتحوها .

ووصل الرحالة العرب بلاد الصين، والهند، وبلاد ما وراء النهر، وتركيا وغيرها. وصور الرحالة العرب مشاهداتهم في تلك البلاد التي زاروها، وسجلوا عاداتهم وتقاليدهم بل ثقافاتهم وحضاراتهم، ووصفوا البلاد وجغرافيتها، ولفتوا بشيء غير يسير من الفن الأدبي أنظار طلاب العلم، وشداة المعرفة إلى البلاد الموصوفة في كتبهم.

والرحلة مذكورة في القرآن الكريم في سورة الكهف، وسورة الفيل، فهي قديمة.

ومن أشهر الرحَّالة العرب والمسلمين ابن فضلان في القرن العاشر الميلادي، الذي سافر إلى بلاد الروس على رأس وفد من العلماء والفقهاء، وإلى بلاد القالبة والجزر الاسكندنافية بأمر من الخليفة العباسي المقتدر بالله؛ لنشر الإسلام، وبناء المساجد.

ومنهم الرحالة الأندلسي ابن جبير محمد بن أحمد بن جبير المولود عام ٥٤٠ هجري ببلنسية بإسبانيا، وقام عالمنا بتدوين مشاهداته في رحلة الحج، وعنوان كتابه (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار) .

وكتب المؤرخ الإنجليزي ويليام رايت عن ابن جبير في موسوعة له عن الرحلات والرحالة والحجاج عرب وأجانب ومسلمين ومسيحين ويهود، وهي وثيقة مهمة جدًّا.

ومن رحالة العرب الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس

(١) سورة الملك، الآية ١٥.

صاحب كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، والأدريسي مولود بشمال المغرب عام ٤٩٢ هجري، ومات عام٥٦٠ هجري (١١٦٦ ميلادي) .

وزار عالمنا –رحمه الله – بلاد الحجاز، ومصر، ووصل سواحل فرنسا، وإنكلترا، وسافر إلى القسطنطينية، وسواحل آسيا الصغرى .

ويذكر لنا التاريخ إفادة النهضة الأوروبية من رحلاته، فأصبحت خرائطه مرجعًا للرحالة الغربيين .

ويذكر أن الإدريسي يشبِّه الأرض بصفار البيضة المحاط ببياضها، وأقف أمام هذا التشبيه البليغ الذي له مدلولاته العلمية التي يعرفها المختصون .

ومن الرحالة العرب الرحالة الشهير ابن بطوطة المولود عام ٧٠٣ هجري (١٣٠٤ميلادي) في المغرب من عائلة عرف عنها عملها بالقضاء، وكان سبب رحلاته دينيًّا، حيث درس الشريعة، وفي العشرين من عمره قرر الخروج للحج عام ٧٢٥ هجري متوجهًا من طنجة، فطاف ببلاد المغرب في رحلته ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتر وأواسط إفريقيا.

وكان ابن بطوطة شاعرًا، فمدح الملوك الذين زارهم في تلك البلاد، واستعان بعطياتهم وهباتهم في رحلاته، ثم عاد إلى المغرب الأقصى، وذهب إلى السلطان أبي عنان (من ملوك بني مرين)، فأقام عنده وأملى أخبار رحلاته على أديبه جزي الكلبي بمدينة فاس عام ٧٥٦ هجري، سماها(تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) .

وترجمت رحلة ابن بطوطة إلى اللغات البرتغالية، والفرنسية، والإنجليزية، ونشرت بها، وبعض فصول رحلته ترجم إلى الألمانية .

وكان أديبنا ابن بطوطة يتقن اللغة التركية، والفارسية، واستغرقت رحلته ٢٧ عامًا (١٣٢٥-١٣٥٢)، ومات في مراكش عام ٧٧٩ هجري (١٣٧٧ ميلادي).

ولا شك أنها رحلة طويلة جدًّا دوَّن فيها ابن بطوطة الكثير من الأخبار والمشاهدات والملاحظات والثقافات والحضارات.

ويلقب ابن بطوطة في جامعة كامبريدج بأمير الرحالة المسلمين. ومن الرحالة العرب

في عصرنا الحديث الأديب المصري محمد حسين هيكل، له كتاب (أيام في السودان)، و(يوميات باريس)، ولد هيكل في ١٨٨٨ ميلادي، وتوفي ١٩٤٦ ميلادي، وهو روائي وصحافي وكاتب سياسي.

ومنهم إبراهيم عبد القادر المازني وكتابه (رحلة الحجاز) كاتب، وشاعر، وروائي مصري، ولد في القاهرة عام ١٨٨٩ ميلادي.

ومنهم زكي مبارك، الذي كتب (ذكريات بغداد)، و (ذكريات باريس)، ومنهم الأديب السعودي (يحي المعلمي).

ومنهم حسين قدري، وخليل النعيمي في التسعينيات، وأنيس منصور، الذي له عدة كتب في أدب الرحلات وهي: (غريب في بلاد غريبة)، و(اليمن ذلك المجهول)، و(أنت في اليابان وبلاد أخرى)، و(أطيب تحياتي من موسكو)، و(أعجب الرحلات في التاريخ)، ومنهم د.عزة بدر لها كتاب(أم الدنيا)، وكتاب(رحلات بنت قطقوطة ٢٠٠٧)، تصف فيه الكاتبة رحلتها إلى اليونان وإيطاليا وبلاد أخرى.

فالأديب الرحالة يصف مشاهداته للبلاد والشعوب، فيصف فيها مشاعره وأحاسيسه أثناء الغربة؛ فلئن استمتعت معه بالرحلة نفسها في البلاد التي زارها فلسوف تستمتع مرة أخرى بالفن الأدبي شعرًا ونثرًا، فالأسلوب الأدبي والنص الأدبي الرفيع سيأخذك إلى عوالم أخرى، ويأسرك بجماله الفني.

وكما أن أدب الرحلات موجود في كتب الرحلات المعروفة، فإن الحق، والحق يقال: إن تراثنا الشعري والنثري على مختلف العصور سيجد الباحث فيه ما يبهره عندما يصف الشعراء رحلاتهم، أو خلو الديار من أهلها، كالوقوف على الأطلال في الشعر العربي، انظر أشعارهم في رحلات الحج والمعارك والحروب والأسر والسجن فستجد الحديث يطول بك وستقع حتما على كنوز أدبية ثمينة.

انظر –مثلاً– إلى قول أحدهم:

ولَّما قضَينا منْ منًى كُلَّ حَاجَة ... ومسَّح بالأركان مَن هُو ماسحُ

وشدَّت على دُهم المَهارَى رحالُنا ... ولَم ينظرالغَادي الَّذي هُو رائحُ

أخَذنـا بأطْـراف الأحاديـث بينَنـا

وسـالت بأعنـاق المُطـيّ الأباطــحُ

وهو من أمثلة البلاغة العربية.

والأمثلة كثيرة ومتشعبة، وإنما اختصرت الحديث طلبًا للإيجاز، وبحسب الإشارة تدل على العبارة، وبعض المعلوم يدل على المجهول، والمظهر يدل على المضمر ثقة بفهم السامع.

ختامًا.. أوجهها دعوة من هنا إلى عناية أكبر بأدب الرحلات في مدارسنا بإعطاء نصوص منتقاة تفيد الأدب، والجغرافيا، والتاريخ، والحضارة، والثقافة بدل أن ندرس الجغرافيا خرائط جافة، كما لا بد من إدخالها في مناهج التعليم العالي، ولفت أنظار الباحثين إليها .

دعي فن المقامة فهو قديم

حدثتني أخت لي في الله تمارس الكتابة بعدد من الفنون الأدبية، ومنها فن المقامة، وقد سررت كثيرًا حينما أعلمتني أنها تكتب (فن المقامة)، ورجوت أن يكون ما تكتبه فن المقامة فعلاً، وأن تكون قد خطت بها خطوة فنية أبعد من المقامات القديمة، لكنني فوجئت بقولها: إن أستاذها في الجامعة وبعض الصحفيين لم يشجعوها على كتابة المقامة، ولماذا؟!.. لأنه فن أدبي قديم، عجبًا وأشد العجب، وهل ننبذ القديم؛ لقدمه، ونمجد الحديث؛ لحداثته؟ أم أننا نشجع الفن الأدبي الجيد، والممتع، والهادف؟ ثم أيهما أشد قدمًا المقامة أم الشعر؟ أليس الشعر من زمن امرئ القيس كما وصلنا، وربما تكشف الحفريات أنه من زمن قبله، ولا زال الأدباء يترنمون بالشعر حتى الآن؟

لقد تميزت المقامة، خاصة في عصر بني العباس بأنها أدت دورًا اجتماعيًّا في النقد الاجتماعي، فضلا عن كونها وسيلة للفكاهة والتندر، و إظهار البراعة الكلامية، وإن كان التكلف في بعضها منبوذًا بلاغيًّا، لكن فيها درجة راقية من البلاغة, وقد سعدت بأن حللت المقامة البغدادية لبديع الزمان الهمذاني، ولم أجده تكلف السجع فيها إلا نادرًا، وأتمنى أن تحظى المقامات بمزيد من الدراسات البلاغية والنقدية.

يا أيها الإخوة! نحن في زمن نحتاج فيه إلى الفكاهة لمواساتنا في مصائبنا وجراحنا النازفة، لكن فكاهة هادفة وراقية، والمقامة هي إحدى السبل في ذلك، وقد تمنيت لأختي الفاضلة مبدعة المقامة أن تجعل مقاماتها في النقد الاجتماعي والأدبي، وربما صورًا أخرى من النقد؛ فهل كنت على حق؟ لقد كانت مقامات الصويلحي على نمط المقامات القديمة، لكن لم يشتهر بعد عصره أحد، وربما كان هناك من يكتب كأختنا في الله، ويخشى أنه فن قديم، وأراد أن يواكب العصر ويكتب القصة الحديثة.

نعم القصة فن جميل! وله تقنياته الخاصة, لكن المقامة –أيضًا– مرغوب فيها لدى بعض الكتاب والقراء، فشجعوها ولا تنفروا الناس منها، وهي صورة من صور القصة في أدبنا العربي .....

علاقة الإنسان بالمكان

علاقة الإنسان بالمكان هي علاقة وثيقة: دينية، واجتماعية، ونفسية، واقتصادية، وأدبية، وعلمية، وسياسية، وثقافية .

وقد يرتبط الإنسان بالمكان بأكثر من علاقة، والعلاقة الدينية هي العلاقة الأقوى التي تتبعها سائر العلاقات الأخرى، كالنفسية، والاجتماعية، والأدبية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية، والثقافية، عامة .

ومن ذلك علاقة المسلمين بمكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس الشريف، قال الله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] .

ومما يوطد علاقة الإنسان بالمكان، الزمان، والأحداث، والشخصيات، والطبيعة، وتبعًا لمجموعة العلاقات، وما يوطدها يزداد تعلق وحب الإنسان للمكان الذي عاش فيه؛ ومن ذلك ما في هجرة النبي محمد –صلى الله عليه سلم–من مكة المكرمة واشتياقه إليها : « أشار صاحب الهمزية بقوله :

.....المصطفى المدينةَ واشتاَ
قتْ إليه من مَكَّةَ الأنحاءُ

أي: وقصد المدينة، واشتاقت إليه الجهات، والنواحي من مكة،وقد جاء «أنه لما خرج من مكة إلى المدينة مهاجرًا، وبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله تعالى عليه :﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾[2]» أي إلى مكة«.

وقد دعا النبي محمد –ﷺ– للمدينة المنورة، من ذلك : حديث عبد الله بن زيد – رضي الله عنه –، عن النبي –ﷺ– قال : «إن إبراهيم حرَّم مكة، ودعا لها، و حرّمت

(١) سورة إبراهيم، الآيات ٣٥-٣٧.
(٢) سورة القصص، الآية ٨٥.

المدينة كما حرّم إبراهيم مكة، و دعوت لها، في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة«[1].

وحديث أنس -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة« [2].

وكذلك علاقة المسلمين بالمسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[3].

فعلاقة المسلمين بمكة المكرمة، والمدينة المنورة،والقدس الشريف هي علاقة دينية في المقام الأول، تتبعها باقي العلاقات الأخرى، فمن العلاقة الدينية الاجتماعية النفسية التي وطدتها الأحداث والزمان والشخصيات والطبيعة في موسم الحج قول الشاعر بعد انقضاء موسم الحج :

وَلَمَّا قَضَينَا مِن مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ
و مسحَ بالأركانِ مَنْ هو ماسحُ
و شُدَّت على حدبِ المهارى رحالُنا
و لم ينظر الغادي الذي هو رائحُ
أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا
وسألت بأعناق المطي الأباطحُ

وقد تغنى الشعراء بنجد التي تتوسط الجزيرة العربية، يقول ابن الدمينه في داليته، وهي من أعذب وأمتع ما قيل في نجد :

أَلا يا صَبا نَجدٍ مَتَى هِجتَ مِن نَجدِ

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٤٤.

ويقول آخر :

تَمَتّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ

فما بَعْدَ العَشِيّةِ مِنْ عَرَارِ

ويقول آخر :

سَقَى اللهُ نَجْدًا والسلامُ على نَجْدِ

وَيَا حَبَّذَا نَجْدٌ على القُرْبِ والبُعْدِ

ومن الشعر الأندلسي في نجد، قصيدة ابن حميدس، ومطلعها :

أمسكَ الصبا أهدتْ إلي صبا نجدِ

وقد مِلْتَ أنْفاسُهُ لِي بالوجدِ

ومن الشعر في نجد، قصيدة الشريف الرضي :

خُذِي نَفْسِي يَا رِيحُ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى

فَلاقِي بِهَا لَيْلا نَسِيمَ رُبَى نَجْدِ

فالعلاقة بنجد علاقة اجتماعية ونفسية، وأكثر ما يوطد علاقة الإنسان بنجد (الطبيعة) .

وقد تكون علاقة الإنسان بالمكان اقتصادية،واجتماعية، وأدبية، كالعلاقة بسوق عكاظ، وسوق المربد، وغيرهما .

ومن العلاقة الاقتصادية العلمية، والأدبية، التي ساهمت في نشر الإسلام رحلات الرحالة المسلمين إلى شرق آسيا وغيرها .

وعلاقة الإنسان بالمكان قد تكون نفسية أدبية، كعلاقة المعري ببيته، وسمي (رهين المحبسين) البيت والعمى، وكذلك علاقة الجاحظ بمكتبته في بيته علاقة نفسية أدبية .

وقد تكون علاقة اجتماعية أدبية، كعلاقة المتنبي بدكاكين الوراقين، حيث يذهب إلى الوراقين، ويأخذ الكتاب فيقلبه، ثم يرجعه، وقد حفظه عن ظهر غيب .

وقد تكون علاقة علمية، واجتماعية، ودينية، مثل علاقة أبي تمام بمسجد القاهرة، حيث عمل سقا لطلب العلم .

وقد تكون العلاقة سياسية ودينية خاصة، ومن ذلك ما قيل من شعر الحروب

الصليبية، يقول العماد الأصبهاني :

حَطَّتْ عَلى حِطين قَذرَ مُلوكِهِم ... وَلَمْ تُبقِ مِن أَجْنَاسِ كُفْرِهِم جِنْسَا

بِوَاقِعَةٍ رجَّت بِها الأرض جيشهم ... دمارًا كما بسّت جبالهم بسّا

و قس على ذلك غيره من أمثلة الشعر العربي قديمًا وحديثًا .

والشعر الجميل هو الذي يتغنى بطبيعة المكان الجميلة، وقد تفوق الشعراء الأندلسيون في وصف الطبيعة، يقول ابن خفاجة :

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ للهِ دَرُّكُمُ ... ماءٌ وظلٌّ و أشجارٌ و أنهارُ

و من هذا النوع في العصر الحديث، قول أحمد شوقي :

آ مَنتُ بِاللَّهِ وَاِستَثنَيتُ جَنَّتَهُ ... دِمَشقُ روحٌ وَجَنّاتٌ وَرَيحانُ

قالَ الرِفاقُ وَقَد هَبَّت خَمائِلُها ... الأَرضُ دارٌ لَها الفَيحاءُ بُستانُ

جَرى وَصَفَّقَ يَلقانا بِها بَرَدى ... كَما تَلقاكَ دونَ الخُلدِ رَضوانُ

ولأني بدأت مقالتي بالحديث عن أحب البقاع إلى الله (مكة المكرمة)، أختم برائعة الشاعر السعودي محمد حسن فقي، يقول :

مكّتي لا جلالٌ على الأرضِ ... يدانـي جلالَها أو يفوقُ

ما تبالينَ بالرشاقةِ و السحرِ ... فمعناكِ ساحرٌ و رشيقُ

سجدت عندهُ المعاني فما ... ثمَّ جليلٌ سواهُ أو مرموقُ

و مشى الخلدُ في رحابِكِ مختالاً ... يَمُدُّ الجديدُ منهُ العتيقُ

المطر في الشعر الجاهلي

المطر مظهر من مظاهر رحمة الله –تعالى–بخلقه، و له دور مهم في حياة البشر، فهو يعني الحياة، والنماء، والخصب.

وقد ارتبط المطر بذهن العربي الجاهلي الذي يعيش في الصحراء ليس عنده مقومات للحياة إلا الماء الذي ينبت به الزرع، ويحيا به الضرع, ويعيش عليه الخلق، فالشاعر الجاهلي ينظر إلى السماء على أنها مصدر الرزق والحياة، قال الله –تعالى– :﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١).

فالشاعر الجاهلي يتغنى بالمطر في شعره؛ لأنه قِوام حياته.

وسأسوق بعض الشواهد على ذلك، وأعرّج على معنى المطر في القرآن الكريم، لأفرق بين المطر وبين الغيث.

«والشعراء في العصر الجاهلي قاموا بتوظيف المطر في موضوعات مختلفة، كصورة المرأة والممدوح، والمرثي وصورة الحرب والحيوان .

والمطر: هو الماء المنسكب من السماء، والمطر ماء السحاب، والجمع أمطار، وأكثر ما يجيء في الشعر، وقد أمطرتهم السماء تمطرهم مطرًا، و أمطرتهم: أصابتهم بالمطر» (٢).

والمطر هو أساس الحياة والخلق والخير والرحمة للعباد، وقد ورد ذكره بكثرة في القرآن الكريم بلفظ الماء والغيث مصدرًا للفوائد الكثيرة، قال الله –تعالى– : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(٣).

وقوله ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾(٤).

وقد أكثر العرب من استخدام المطر على الحقيقة في أمثالهم المتنوعة، فقالوا

(١) سورة الذاريات، الآيتان ٢٢–٢٣.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة مطر .
(٣) سورة الروم، الآية ٢٤.
(٤) سورة الشورى، الآية ٢٨.

لمن عاش في رخاء ورغد فظن أن الناس كلهم في مثل حاله: يحسب المطور أن كلاً مطر[1].

وقالوا لمن حزن على ما فاته:«لا تشم الغيث فقد أودى النقد»[2].

وذكرُ العرب للمطر في أمثالهم نابع من عشقهم له، فهو مبعث الحياة والخصب، وبه حصول معايشهم من رعي، وسقي، وزرع؛ لذلك عرفوا خصائصه وأحواله، واستدلوا على نزوله بالرياح وألوان السحب، وأنواع البرق وأصوات الرعد، ونمى لديهم علم كثير وغزير عنه، وقد ورد في كلامهم المنثور والمنظوم ما يشير إلى رسوخ هذا العلم، وعمق هذه المعرفة التي نتجت عن طول تجاربهم اليومية المستمرة ... »[3].

ويقول الأستاذ منذر الخفاج: « عندما وصف الشاعر العربي المطر لم يكن وصفه مباشرًا دون رؤية عميقة لأسرار الوجود، فكان الشاعر يرسم في تصوره للمطر فكرًا متحدًا وصورًا تأملية تصدر عن وحدة التراث والمعتقد، تحكمت في صياغة عباراته .

فالشعراء الجاهليون كانوا ينظرون إلى المطر المنثور من السماء بإكبار وتقديس، حيث رأوا فيه مادة الحياة التي خلق منها كل شيء كما رأوا فيه سرًّا خفيًّا قادرًا على قهر الجدب، وبعث الخصب والرزق تتلقاه الشفاه الظمأى والصحراء المجدبة بشغف.

وقد تتبع الشعراء نزول المطر تتبعًا غريبًا، فراقبوه بدقة، ووصفوا برقه اللامع، ورعده القاصف، وسحبه الحافلة، ورسموا صورًا رائعة لمناظره وهو ينثال، كاللؤلؤ من السماء، يقول النابغة الذبياني:

أصَاحِ تَـرَى بَرْقـاً أُرِيـكَ وَمِيضَـهُ

يَضِـيءُ سَـنَاهُ عَـنْ رُكَـامٍ مُنَضَّـدِ

ويقول أيضًا :

أَرِقْـتُ وَأَصْحَابِـي قُعُـودٌ بِرَبْـوَةٍ

لِـبَرْقٍ تَـلألأ فِـي تِهَامَـةَ لامِـعِ

(١) مجمع الأمثال، الميداني، ج ٢، ص ٢١٧ .
(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٢٥ .
(٣) المطر وتجلياته في شعر امرئ القيس وعبيد بن الأبرص،علي معدلي، محبوبه محمد زاده سيرازي.

ويقول امرؤ القيس :

هَـلْ تَأْرَقَـانِ لِـبَرْقٍ بِـتُّ أَرْقُبُـهُ

كَمَـا تَكَشَّـفَ عَنْهَـا البَلَـقُ إجْـلالا

وقال عبيد بن الأبرص :

يَـا مَـنْ لِـبَرْقٍ أَبِيـتُ اللَّيْـلَ أَرْقُبُـهُ

مِـنْ عَـارِضٍ كَبَيَـاضِ الصُّبْـحِ لَمَّـاحِ

وقد جاء ترقبهم هذا لعظيم أهمية المطر في حياتهم، فمسألة تقديرهم لنزول المطر مسألة حياة أو موت، وقد ارتبطت صورة العذاب، والنقمة، والخوف، والقتل بالجدب، والمحل، والقحل الذي يحيل حياتهم شقاء وعذابًا وفقرًا وجوعًا، فقد ينحبس الغيث سنوات متواليات، أو تنفتح أبواب السماء بعد طول ترقُّب، وتسقط الأمطار الغزيرة، فتستمر إلى ما شاء الله لها أن تستمر، وقد عني الشعراء بتصوير هجير الصحراء الذي يميت أنفاس الرياح فيترك الناس أشباحًا .

ويصف علقمة الفحل يومًا يسفع فيه سعير الصحراء، فيشوي الوجوه، ويطبخ لحم النوق:

وقـد علـوت قتـود الرجـل يسـعفني

يـومٌ تَجـيء بـه الْجَـوزاء مسـموم

حـام كأن أوار النَّـار شـاملة

دون الثيـاب ورأس المـرء معموم [1]

ولْنَعُدْ إلى تحليل بعض الشواهد الشعرية :

يقول النابغة الذبياني :

أصَـاحِ تَـرَى بَرْقـاً أُرِيـكَ وَمِيضَـهُ

يَضِـيءُ سَـنَاهُ عَـنْ رُكَـامٍ مُنَضَّـدِ

يستبشر النابغة خيرًا برؤية البرق أملاً في هطول المطر، لذلك ينادي صاحبه بحرف النداء الهمزة (للقريب)، وكأنه من شدة فرحه لا يصدق ما يراه،فيسأل صاحبه هل ترى برقًا أريك وميضه؟..) (هل ترى ما أراه؟)، وحرف الاستفهام محذوف للعلم به، والاستفهام –هنا– للإقرار والتأكيد، هل ترى حقيقة ما أرى برقًا أريك وميضه:أي بريقه،

(١) انظر صورة المطر في الشعر الجاهلي، صحيفة الهدى على الشبكة العنكبوتية.

ضوء ساطع عن ركام من السحاب، منضد: منسق، وهذه كناية لطيفة عن كثرة ما يحمل هذا السحاب من المطر .

قال –تعالى-: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ﴾[1].

وبيت النابغة هذا يدل على الفرح والسرور والبشر برؤية البرق المبشر بهطول المطر؛ لأن فيه حياة، وخصبًا، ونماءً .

ويقول أيضًا :

أَرِقْتُ وَأَصْحَابِي قُعُودٌ بِرَبْوَةٍ
لِبَرْقٍ تَلألأ فِي تِهَامَةَ لامِعِ

انظر إلى كلمة (أرقت) أصابه الأرق، وهو امتناع النوم، وهذا يدل على وجود شيء مهم يشغل تفكيره،ويقلقه،ويؤرقه هو وأصحابه، وهم (قعود)، ولم يقل (جلوس)، مما يشعر بحالة الترقب والانتظار والقلق وعدم الراحة، وما ذاك إلا لرؤية البرق المبشر بالمطر، لأهميته في حياتهم، بل توقف حياتهم ومعاشهم عليه،(لِبَرْقٍ تَلألأ فِي تِهَامَةَ لامِع)، ذكر بداية الفعل (تلألأ): أي لمع بصيغة الماضي الدالة على الحدوث، ثم عاد فأكد بصيغة الاسم (لامع) الذي يدل على الاستمرار والدوام والثبوت، وأنه من شدة فرحه وسروره لم يصدق، رأى البرق لمع، ثم عاود النظر؛ ليتأكد فإذا البرق مستمر في اللمعان، لذلك قال: (لامع) .

ويقول امرؤ القيس :

هَلْ تَأْرَقَانِ لِبَرْقٍ بِتُّ أَرْقُبُهُ
كَمَا تَكَشَّفَ عَنْهَا البَلَقُ إجْلالا

ألاحظ تكرار حالة الأرق، والقلق،والترقب لرؤية البرق بشيرًا بالمطر في بيت امرئ القيس هذا، وهو يسأل صاحبيه: هَلْ تَأْرَقَانِ لِبَرْقٍ بِتُّ أَرْقُبُهُ،وكأنه يريد من يشاركه حالة الأرق والترقب هذه.

وفي هذا البيت تشبيه غريب جميل، حيث لمح، ولاحظ امرؤ القيس سواد الليل وارتفاع بياض البرق عليه، فشبهه بارتفاع بياض قوائم الفرس إلى فخذيه على سبيل التشبيه التمثيلي، وذلك بجامع غلبة البياض على السواد، وهذا من علامات البشر، والجمال،

(١) ()سورة النور، الآية ٤٣.

والتفاؤل.

ونشاهد مشهد الترقب والمبيت ذاته في انتظار البرق، والمطر عند عبيد بن الأبرص، الذي يقول :

يَـا مَـنْ لِـبَرْقٍ أَبِيـتُ اللَّيْـلَ أَرْقُبُـهُ
مِـنْ عَـارِضٍ كَبَيَـاضِ الصُّبْـحِ لَمَّـاحِ

حيث يشبه السحاب المطل ببياض الصبح لَمَّاح شديد البياض على سبيل التشبيه بجامع البياض، وهذا يشعر بزوال الشك والريبة في قرب نزول المطر .

وما حالة الترقب والأرق والقلق لرؤية البرق عند الشعراء إلا أملا ورجاء في هطول المطر؛ لأهميته في حياتهم .

ومكة المكرمة- وهي مسرح من مسارح الأدب الجاهلي، وكان يقام سوق عكاظ قريبًا منها- هي واد غير ذي زرع، شحيحة القطر، أو لنقل قليلة المطر، تندر فيها مصادر المياه، قال -تعالى- على لسان إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾[1].

ودلالة المطر في القرآن الكريم تختلف عن دلالته في الشعر الجاهلي أنه للخير والنماء والسعادة و السرور. ولنتأمل استعمالات المطر في القرآن الكريم، والفرق بينه وبين الغيث:

لم تستعمل كلمة (المطر) في القرآن الكريم إلا بمعنى العذاب أو الأذى، قال -تعالى- :] ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٨٤ ﴾[2].

و قال -تعالى- : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ ﴾[3].

و غيرها من الآيات الكريمة التي تدل على المعنى ذاته.

(١) سورة إبراهيم، الآية ٣٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية ٨٤.
(٣) سورة هود، الآية ٨٢.

أما الماء النازل من السماء ليسقي الأرض، والأنعام، والناس، فاستعملت له ألفاظ غير لفظة المطر، منها:

الماء:

قال ﷻ: ﴿ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[1].

و منها كلمة (الغيث) :

وقال –تعالى– : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[2].

(١) سورة الحج، الآية ٥.
(٢) سورة الشورة، الآية ٢٨.

الأديب ومذهبه الأدبي

الأديب الحق لا يمكن أن تؤطره بمذهب ما؛ لأن الأدب يفرض نفسه على الأديب، ثم تتدخل نفس الأديب لتدخل بعض التعديلات اللازمة على الأدب أو ما يعرف عند النقاد (بالصنعة) ، كما أنك لا يمكن أن تفرض على الأديب المذهب لإتباعه؛ لأن ثمة عوامل أخرى تتدخل لتفرض على الأديب المذهب الذي يتبعه، هذه العوامل هي نفس الأديب وثقافته، أو قل مخزونه المعرفي، والعقدي، والنفسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والتاريخي، و هي –أيضًا– ستوجه المذهب، وتطوعه إذا كان مخالفًا لهذا المخزون ليتناسب معه .

الأمر الثاني هو حركة التاريخ، والوضع الثقافي، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي الراهن للأمة، وللأديب الذي ينتمي لهذه الأمة إن كان يعترف بهذا الانتماء ولا ينسلخ منه .

أضرب لهذا مثلاً حينما كانت الأمة الإسلامية العربية تحت وطأة الاستعمار الأجنبي في عدة أركان منها ماذا تخال يناسب هذا الوضع غير المذهب الكلاسيكي ذي النبرة الخطابية العالية الجرس الذي يتحدث عن تاريخ الأمة، وحالها الراهن، ويدعو للوحدة واليد الواحدة، ومواجهة الخطر الداهم.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل اتفق الأدباء فيما بينهم لإتباع مذهب معين دون تأثير العوامل السابقة الذكر ؟

ثم لننظر في نتاج أدباء المذاهب الأدبية المعروفة؛ سنجد نتاجًا يقترب من مذهب آخر أكثر من اقترابها لمذهبه الخاص، أو بمعنى آخر ستجد في كل مذهب ملمحًا، أو ملامحًا من المذهب الآخر؛ وعدَّ خليل مطران –وهو من الأدباء العرب الكلاسيكيين– مرهصًا للمذهب الرومانتيكي؛ لأن شعره يقترب من الذاتية والفردية والحرية والغربة والحنين.

وهذا الأمر لا ينطبق على خليل مطران فقط؛ وانظر معي إلى شعر البارودي في (سرنديب) ؛ أوليس فيه ملامح الفردية والذاتية والحنين الفياض إلى الوطن والأهل ؟؟.

وليس من اليسير أن تفرض على الأديب اتباع مذهب أو منهج معين، ولكن

العوامل السابقة تتحكم في ذلك، و المسلم بمرجعياته السليمة يصوغ لنا أدبه وفق هذه المرجعيات .

والإسلام لا يرفض البته الحديث عن الذات وهمومها وأحوالها، كما أنه يوجه هذه الذات إلى التأمل في الكون والحياة والإنسان؛ لتصوغ أدبًا رائعًا، والمسلم الحق يستشعر أنه بعض من كل ولا يمكن للبعض أن يكون شيئًا دون الكل .

الشيخان القاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني

ساتحدث في هذه المقالة عن عالمين كبيرين من علماء اللغة والبلاغة القدماء، وسيكون الحديث –بمشيئة الله– عن الحضور الفكري لكل علم من هذين العلمين عند الآخر والتأمل في ذلك طويلاً مستنيرة بالمقدمة التي خطتها أنامل الشيخ المعاصر محمود شاكر، الذي ذكر أن الإمام عبد القاهر عرَّض بالقاضي عبد الجبار في عدة مواضع من كتابه. يقول مثلاً:»إن المقصود بالتعريض بأصحاب اللفظ، والذين يقولون : بالضم على طريقة مخصوصة، وبالقائلين: إن المعاني لا تتزايد وإنما تتزايد الألفاظ،وقول القائل:إن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات، ولكن تظهر بالضم على طريقة مخصوصة» ... إلخ، حتى قال: «ذلك أن عبد القاهر منذ بدأ في شق طريقه إلى هذا العلم الجليل الذي أسسه كان همه أن ينقض كلام القاضي في الفصاحة، وأن يكشف عن فساد أقواله في مسألة اللفظ.»؛ فهل هذا الرأي صحيح ؟ ...

إنها مسألة تحتاج إلى طول تأمل و(سكون طائر) –كما يقول الباقلاني–حتى يؤكد على العلاقة بين الكتابين كتاب القاضي عبدالجبار (المغني)، و كتاب عبد القاهر (دلائل الإعجاز) .

فالمغني خلا من ذكر الصرفة، وهي من أشهر أقوال المعتزلة؛ لأنها من اختراع شيخهم القديم النظّام؛ لأنه رد مقالة الصرفة ونقضها في كتابه، وعبد القاهر أغفلها أيضًا . فهل لهذا الأمر سر آخر غير ما رأه الشيخ محمود شاكر، وأنه لمجرد الاتفاق بين الكتابين ؟ ....

والذي ظهر لي من خلال دراسة وبحث هذه القضية أنه لم يكن هناك اختلاف في فكر الإمامين القاضي عبد الجبار، وعبد القاهر الجرجاني في النقاط التي اشتركا في الحديث عنها .

ولاحظت عند الشيخ عبد القاهر تناقضًا ظاهرًا في كلامه حول الذين فهموا المزية بجزالة الألفاظ وحسن المعنى التي أحاول طرحها، والتي أرجو أن أكون قد أحسنت فهم الحقيقة –وإن كانت المسألة صعبة وشائكة– واجتهدت في فهم هذه القضية ما وسعني الاجتهاد .

في البداية ليس ثمة تعريض من الشيخ عبد القاهر،لماذا ؟؛ لأني وجدت توافقًا بين ما يعنيه كلا الشيخين من موضع المزية في الكلام .

يقول القاضي ص ١٩٧: «قال شيخنا أبو هاشم: إنما يكون الكلام فصيحًا لجزالة لفظه وحسن معناه»، إنما أراد بجزالة اللفظ وحسن معناه شيئًا واحدًا، وهو الصياغة، والتصوير، وهيئة المعنى وصورته، ولم يقصد بالنظم نظم الألفاظ المفردة دون إحداث صنعة في المعنى .

كما عرَّض الشيخ عبد القاهر ببعض من تكلم في المسألة، ولم يصرح بأنهم المعتزلة، ولم يذكر، ولم يحدد أنه القاضي عبد الجبار حين قال: «حيث قالوا نطلب المزية ظنوا موضعها اللفظ بناء على أن النظم نظم ألفاظ وأنه يلحقها دون المعاني ... « .

ومما قال: إنهم يقصدون اللفظ المفرد، والذي ينفي عبد القاهر أن تكون له المزية في الكلام، والدليل أن القاضي عبد الجبار لم يقصد باللفظ وجزالته اللفظ المفرد، وإنما قصد الصياغة، والتصوير، وتأليف الكلمات، ونظمها وفق طريقة مخصوصة تحدث صورة وهو ما قصد بقوله (حسن معناه) .

والدليل على ذلك قوله في موضع آخر: «و ليس فصاحة بأن يكون له نظم مخصوص؛ لأن الخطيب عندهم قد يكون أفصح من الشاعر، والنظم مختلف إذا أريد بالنظم اختلاف الطريقة، وقد يكون النظم واحدًا، وتقع المزية في الفصاحة، فالمعتبر ما ذكرناه «.

فحينما قال: النظم واحد، وتقع المزية في الفصاحة، يقصد أن الألفاظ المستخدمة في النظم عند كلا المتكلمين واحدة، وإنما تقع المزية في الفصاحة، وهي جزالة اللفظ، وحسن المعنى. ولا يقصد بجزالة اللفظ لفظ دون آخر، وإنما بقصد الصياغة والتصوير، و(توخي معاني النحو) الذي قصده عبد القاهر كذلك .

ثم ظهر شيء من التناقض في كلام الشيخ عبد القاهر حين قال: «لم يستطيعوا أن ينطقوا في تصحيح هذا الذي ظنوه بحرف، بل لم يتكلموا بشيء إلا كان ذلك إبطالاً لأن يكون اللفظ من حيث هو لفظ موضع المزية وإلا قد رأيتهم قد اعترفوا من حيث لم يدروا بأن ليس للمزية التي طلبوها موضع ومكان تكون فيه إلا معاني النحو وأحكامه».

فعبد القاهر يقول:» إنهم ظنوا المزية في اللفظ،ثم أثبتوا من حيث لم يدروا أنها في

توخي معاني النحو وأحكامه»؛ فكيف يظن الإنسان شيئا ثم يثبت سواه ؟.. وأن من ظن شيئًا لابد وأن يسعى مدفوعًا برغبته إلى إثبات هذا الشيء وتأكيده .

وهذا يدل على أن ظنهم الذي قصدوا إليه منذ البداية هو الذي دللوا عليه، وهو الأمر الذي يظهر في كلام القاضي عبد الجبار .

ثم لماذا لم يفسر عبد القاهر كلامهم في الفصاحة ويفهمه كما فهم ووضح غموض المصطلح الذي واجهه من كلام البلاغيين والعارفين بالشعر ونقاد المعاني وانتهى به إلى تحديد مرادهم من هذا المصطلح الغامض ؟ ...

ثم هو يقول : «إن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات، وإنما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة «.

ويقول في موضع آخر: «ومما تجدهم يعتمدون عليه ويرجعون إليه قولهم إن المعاني لا تتزايد، وإنما تتزايد الألفاظ « .

فكل هذا الكلام –فيما يظهر– يناقض أنهم جعلوا المزية للفظ المفرد، وإنما لتوخي معاني النحو، وتشكيل وتصوير المعنى في صورة وهيئة معينة ...

وقال القاضي عبد الجبار: «إن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات وإنما بالضم على طريقة مخصوصة «، ويقول عبد القاهر عن ذلك: «و قولهم على طريقة مخصوصة يوجب ذلك أيضًا، وذلك أنه لا يكون للطريقة إذا أنت أردت مجرد اللفظ معنى « .

و هذا الذي قاله عبد القاهر صرح به القاضي عبد الجبار حين قال: «الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلمات»؛ فليس ثمة اختلاف بين الشيخين، بل هو كلام واحد صادر من شخصين اثنين .

فهناك توافق بين كلام الرجلين، مما يجعل الباحث يشك في أن عبد القاهر عرَّض بالقاضي عبد الجبار؛ لأن القاضي عبد الجبار فهم المعنى الذي تكون له المزية كما فهمه عبد القاهر تمامًا، وهو الذي قصده الجاحظ، حين قال: «المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي، والعجمي، والبدوي، والقروي، وإنما الشعر صناعة، وضرب من التصوير..»؛ لأن القاضي عبد الجبار رد على من أنكر عليه أن تكون المزية في حسن المعنى الذي قصد منه (صورة المعنى) (هيئة المعنى)، حيث قال: «قيل له: إن المعاني وإن كان لابد منها فلا تظهر فيها المزية وإن كان تظهر في الكلام لأجلها ولذلك نجد المعبرين عن المعنى الواحد

يكون أحدهما أفصح من الآخر والمعنى متفق «.

وهذا دليل ناصع وباهر على أن المعنى الذي يسلبه القاضي عبد الجبار المزية هو المطروح في الطريق، يعني الأغراض والمقاصد، والذي يثبت له المزية صورة المعنى وهيئة المعنى، وصنعة الشاعر في شعره و صاحب البيان في بيانه .

يقول: «على أن نعلم أن المعاني لا يقع فيها تزايد، فإذن يجب أن يكون الذي يعتبر التزايد الألفاظ التي يعبر عنها «. فهو هنا يقصد بالمعاني التي لا تتزايد، المعاني المطروحة في الطريق وهي الأغراض والمقاصد كما ظهر من كلامه قبل هذا . وقصد بالألفاظ التي تتزايد الصياغة والتصوير وهيئة المعنى، وهذا الذي عمل عبد القاهر في دلائل الإعجاز على بيانه وإيضاحه .

ولا يظهر أن عبد القاهر يعرِّض بالقاضي عبد الجبار بقدر ما يشد على يده، ويوافقه فيما ذهب إليه حين قال: ومما تجدهم يعتمدون ويرجعون إليه قولهم: «إن المعاني لا تتزايد وإنما تتزايد الألفاظ... وهذا كلام إذا تأملته لم تجد له معنى يصح عليه غير أن تجعل (تزايد الألفاظ) عبارة عن المزايا التي تحدث من توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم؛ لأن التزايد في الألفاظ ونطق لسان محال «ص ٣٩٥ .

فأي تعريض في كلام عبد القاهر الجرجاني بالقاضي عبدالجبار؟ إنه مجرد توضيح وتأكيد على كلامه .

أهمية وجود معاجم للعبارات النقدية والأدبية والتاريخية والسياسية والطبية والعلمية في تراثنا العربي

إن أول أمر إلهي أنزل إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو الأمر بالقراءة، وذلك لأهمية القراءة في حياة الإنسان عامة، والمسلم خاصة، وكان أسلافنا من العلماء، والكتاب، والأدباء يقرؤون بنهم شديد، ويقضون أوقاتًا طويلة في القراءة والتأليف، ولكن في زماننا هذا يواجه القارئ العربي تحديات كبيرة ومنافسة شديدة للقراءة، ويواجه الباحث -بصفة خاصة- صعوبات في الوصول إلى مصدر كثير من العبارات النقدية والأدبية والتاريخية والسياسية والطبية والعلمية في تراثنا العربي، ويتطلب الأمر منه جهدًا ووقتًا مضاعفًا للوصول إلى مصدر هذه العبارات. فوجود مثل هذه المعاجم على شاكلة المعاجم اللغوية له أهمية كبيرة في تسهيل البحث على الباحثين، وإرجاعهم إلى مصادر معينة في التراث العربي .

وبين يدي مثل على ذلك، وهو كتاب (كشاف العبارات النقدية والأدبية في التراث العربي) للدكتور محمود الربداوي الذي أصدره مشكورًا مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (عام ١٤٢٠هـ) وهو درة في موضوعه، ونموذج يحتذى في بابه، حيث يرجع المؤلف الباحث إلى مصادر كثيرة من العبارات النقدية والأدبية في تراثنا العربي .

يقول المؤلف عن صعوبات بحثه: «عندما أردت التخصص في النقد العربي في أوائل الثلث الأخير من هذا القرن العشرين، وشرعت في المادة العلمية لهذا التخصص واجهتني مشكلتان؛ الأولى: مشكلة المصطلح النقدي القديم، إذ لم يكن ثمة معاجم للمصطلح النقدي في تلكم الأيام....»

ويذكر المؤلف في المقدمة أنه اهتم بالعبارات الواضحة الدلالة على أنها عبارات نقدية سائرة في أوساط المثقفين وقصر اهتمامه عليها.

وأقول في هذا المقام: نعم، نحتاج إلى مثل هذه المعاجم لمعرفة مصادر العبارات

النقدية والأدبية والتاريخية والسياسية والطبية والعلمية في تراثنا العربي، بل الأمر يتعدى ذلك إلى أهمية وضع معاجم لحضاراتنا العربية والإسلامية قديما وحديثا.

هذا، وأتمنى أن يكون الاهتمام بمثل هذه المعاجم قائم وموجود فعلاً، وهو يحتاج إلى جهد علمي جبار من الباحثين المهتمين بهذا الشأن، ولا بد أن يحفز الباحثين على إنجاز مثل هذا العمل العلمي الناجح، ويشكرون حق الشكر عليه.

تعقيب على هذا المقال :

تعقب الدكتور خديجة أبكر على هذا المقال بقولها : «أختي ابتسام، هذا النوع من المعاجم يسمى المعاجم المتخصصة يدرج كل واحد منها ضمن تخصص معين، فيشرح مدلول مصطلح ما داخل التخصص الذي يهتم به كل معجم من هذه المعاجم، وهذا النوع من المعاجم المتخصصة موجود ومتداول، ومنها :

- المعاجم التي تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الإسيسكو)، حيث نشرت معجمًا للمصطلحات الفيزيائية، وآخر للمصطلحات الجيولوجية، ومعجمًا للمصطلحات النباتية، و آخر للمصطلحات الحيوانية .
- معجم المصطلحات في اللغة والأدب : د. مجدي وهبة، شرح فيه المصطلحات اللغوية التي لها علاقة بالمجال الأدبي .
- معجم المصطلحات النقدية : د.سعيد علوش، وفيه شروح وافية للمصطلحات النقدية مع ترجمتها الفرنسية .
- المعجم الاقتصادي الإسلامي : د. أحمد الشرباصي .
- القاموس السياسي : د. أحمد عطية الله .و غيرها كثير «[1].

(١) ملتقى البلاغيين و النقاد العرب، منتدى البحوث العلمية.

قراءة في كتاب : الوثائق المنيرة في المعاملات وحقوق الجيرة

هذا الكتاب وسام شرف على صدر مؤلفه نايف بن عوض بن غبن الوسمي؛ وذلك لعدة أسباب، منها: صعوبة التأليف في مثل هذا النوع من المواضيع، وكونه باكورة إنتاج المؤلف العلمي وحصاد جهد متواصل استمر أربعة عشر عامًا- بحسب إشارة المؤلف-[١]

ويقول: «هذا البحث غطى حقبة من الزمن محصورة بين أواخر القرن العاشر الهجري إلى الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري» [٢].

فصعوبة البحث تكمن في سببين، هما: صعوبة دراسة الوثائق لكل من يحاول دراستها، وطول الفترة المدروسة تزيد البحث ٠صعوبة .

ويُحسب للمؤلف تحري الدقة المتناهية في تحديد المواقع والآثار والرجوع إلى مصادر التاريخ المعتمدة، وسيأتي ذكر ذلك.

إن هذا الكتاب له أهمية قصوى في معرفة الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والفقهية، وشؤون القضاء، ومعرفة الأنساب، والأوضاع التاريخية، والأدبية، والجغرافية، والثقافية، والحضارية بشكل عام.

وقد قدم لهذا الكتاب الباحث فايز البدراني الحربي، الذي أثنى على البحث والباحث، ولاحظ على المؤلف ملاحظة لا أتفق معه فيها، حيث يقول فايز البدراني الحربي: «وقد لاحظت أن المؤلف اختار منهجًا خاصًّا، وهو نشر نص الوثيقة بلا تصحيح»[٣]، ويرى ضرورة التصحيح، والذي أراه مع احترامي للباحث فايز الحربي: هو أن منهج المؤلف صحيح؛ لأنه يحافظ على قيمة الوثيقة التاريخية، وهذا الرأي الذي يراه المؤلف، حيث يقول:»لذا أقول لقد اتبعت منهجًا سليمًا، من حيث إن تصحيح الأخطاء خلال كتابة نص الوثيقة يفقدها أهميتها التاريخية» [٤].

وقد قسم الباحث بحثه إلى عدة أبواب؛ الباب الأول: يذكر فيه المقدمة، ويشير فيها

(١) الوثائق المنيرة في المعاملات وحقوق الجيرة، نايف بن عوض بن غبن الوسمي، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م ، ص١١.
(٢) نفسه، ص١٦.
(٣) نفسه، ص٧-٨.
(٤) نفسه، ص١.

إلى أهمية بحثه، وأهمية الوثائق.. ولا أحسب أن المقدمة تحسب فصلاً في البحوث العلمية المعتمدة، وإنما هي تعطي فكرة مجملة عن البحث بشكل عام .

والفصل الثاني تناول موضوع الدراسة والبحث، وفيه يشير الباحث إلى أهمية دراسة علم الوثائق وقوانينه، والفترة الزمنية للدراسة، كما يذكر جغرافية الدراسة ومصادر دراسته، حيث اعتمد على المصادر والمراجع التاريخية المخطوطة والمطبوعة، وهذا مما يحسب للباحث نايف الوسمي، حيث لم يكتف بالمصادر التاريخية، وإنما تحمَّل مشقة العودة إلى المخطوطات.

كما يذكر طريقة عرضه للوثائق، مما يجعل القارئ على بصيرة منذ البداية وتكون الوثائق واضحة أمامه، كما يذكر صعوبة البحث التي واجهته، وهي طبيعية تواجه كل باحث في علم الوثائق .

وفي الفصل الثالث: تناول الإطار الجغرافي، حيث يعرف بمناطق الدراسة. والذي لاحظته في هذا الفصل أن الباحث يعود إلى دراسة المناطق المدروسة إلى تاريخها القديم، ومن سكنها من مشاهير العرب شعراء أو غيرهم، كما يحدد المواقع والمناطق بشكل دقيق، فيذكر ما يشتهر به الموقع وما قيل فيه من شعر، ويذكر سكانها قديمًا وحديثًا.. وهذا ما يميز الدراسة .

فالقارئ يهمه معرفة من يسكن المنطقة قديمًا وحديثًا، كما يذكر الباحث أحياء المنطقة التي يدرسها، وما قاله المؤرخون عنها عائدًا إلى مصادر تاريخية مهمة جدًّا، وقد درس عدة مناطق، مثل: قرية صفينة، وغيرها.

ثم ينتقل إلى الباب الثاني، وهو أربعة فصول؛ أولها مقدمة عن علم الوثائق، حيث يعرف بأهمية الوثائق وأصلها اللغوي، وأنواع الوثائق، ورأي المؤرخين فيها.

أما الفصل الثاني: فهو موجز عن قبيلة مطير، حيث يعرف بنسب قبيلة مطير عائدًا في دراسته إلى مصادر تاريخية معتمدة، ككتاب (نهاية الأرب في معرفة نسب العرب) للقلقشندي، وكتاب (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب) للسويدي .

وفي الفصل الثالث: يعرف الباحث بالمصطلحات الواردة في الوثائق، ويعرف بها مما يوضح الوثائق أمام القارئ .

ويستغرق هذا الفصل عددًا من صفحات الكتاب حوالي ثلاث عشرة صفحة .

وفي الفصل الرابع: يذكر مسميات الشهور، والعملات، والمكاييل، والموازين، والأعداد، ومثل هذا الموضوع –أيضًا– من شأنه إيضاح الوثائق للقارئ .

أما الباب الثالث: فقد استغرق معظم صفحات الكتاب تحت عنوان: (عرض وتحليل مجموعة الوثائق)، حيث يضع الوثائق في أصلها وبجوارها كتابة الوثيقة بخط واضح، وقد قسم هذا الباب إلى عدة فصول، وهي:

الفصل الأول : وثائق الوقف والصدقات وما في حكمها .

الفصل الثاني : البيانات الخاصة والعامة.

الفصل الثالث : الرسائل الخاصة والعامة .

الفصل الرابع : المنازعات والصلح والمعاهدات وما شابهها.

الفصل الخامس : القوانين و المعاهدات .

الفصل السادس : وثائق المبايعات وما يتعلق فيها .

الفصل السابع : وثائق القبائل والأسر الأخرى ...

وجميع هذه الفصول واضحة للقارئ من خلال توضيح المؤلف لها في الأبواب والفصول السابقة .

وأما الباب الرابع : فكان للفهارس وكشافات الكتاب، مثل: كشاف الأعلام، وكشاف الأسر والقبائل، وكشاف المواقع والمواضع، وكشاف الكتّاب والقضاة، وإيضاحات مهمة والخاتمة، ثم قائمة المصادر والمراجع.

وقد اعتمد الباحث على القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وقائمة من المصادر والمراجع التاريخية قديمًا وحديثًا حتى أنه رجع لمصادر تاريخية أجنبية مترجمة، وهذا يدل على حرص المؤلف على خروج بحثه في ثوب قشيب، وكذلك كان بحثه.

قراءة في كتاب : مناهج تحقيق التراث و المخطوطات العربية

كتاب (مناهج تحقيق التراث والمخطوطات العربية)، تأليف الدكتور حسان حلاق، كتاب شدني من عنوانه وشكله الخارجي لقراءته، وتصورت مسبقًا أنه مهم في بابه، وفيه تحديثٌ وجدة، وعندما قرأته وجدته كذلك فعلاً، هو كتاب تراثي بعيون علمية معاصرة، لا غنى للمفتونين بحضارة الغرب عن قراءته؛ ليعلموا مقدار عظمة تراثنا العلمي ومدى استفادة أوروبا منه، فتجد المؤلف يكتب في الفصل الأول عن مناهج العلماء المسلمين والعرب في التأليف، والتدوين، والبحث العلمي، ويذكر أسماء علماء عرب ومسلمين ومصنفاتهم العلمية، ومناهجهم في التأليف، ويذكر مراكز علمية عربية.وفي حديثه عن المكتبات والمراكز الإسلامية والعربية و عن نظامها تكتشف مدى دقة ذلك النظام وروعته، من حيث: بناء المكتبات، والمشرفين عليها، والحرص على أن يكونوا من خيرة العلماء، إضافة إلى دقة الفهرسة وحجم الإنفاق على تلك المكتبات، ونظام الإعارة مما هو معمول به الآن مع إدخال لغة العصر في زماننا – الحاسوب – الذي سهل علينا كثيرًا من المهام البحثية،،.

وعندما تقرأ كلامه عن المدارس والجامعات التي كانت منارات علم آنذاك تعجب من نظامها، ويسير بك المؤلف؛ ليعطيك نبذة عن العلماء العرب ومصنفاتهم وموسوعاتهم، ثم يعطيك فهرسًا للإنتاج الأدبي وأعلامه منذ العصر الجاهلي إلى العصر العثماني في إشارة لطيفة إلى أهمية الأدب في التراث و الحضارة العربية والإسلامية.

وفي الفصل الثاني من الكتاب تجد الجدة التي امتاز بها المؤلف في كلامه الوافي عن العلوم المساعدة لتحقيق كتب التراث والمخطوطات العربية.

يقول في بداية المقال: «مما يؤسف له، أن أحدًا من الباحثين المحدثين، لم يحاول أن يفسر، أو يحلل أهمية ارتباط اللغة والأدب ببقية العلوم الإنسانية، وبعض العلوم البحتة، وبكل تأكيد فإن العلماء المسلمين والعرب الأوائل أدركوا أهمية ارتباط العلوم بعضها بالبعض الآخر، لذلك نجد اهتماماتهم الواسعة بمختلف العلوم، فلم يكن اهتمامهم قائم على علم واحد ...» [1] .

ومن الإضاءات المهمة في هذا الفصل قول المؤلف: «يظن البعض أن لا علاقة مباشرة، أو غير مباشرة بين مصطلح الحديث وبين اللغة والأدب والتاريخ أيضًا، علمًا أن

(١) () مناهج تحقيق التراث والمخطوطات العربية، د.حسان حلاق، دار النهضة العربية : بيروت .

العلاقة بين هذه العلوم مباشرة وهامة؛ لارتباطهما ولارتباط قواعدهما معًا...»[1].

وهنا كلام مهم لشرح هذه العلاقة لابد من قراءته لتبينه، فتجد المؤلف في هذا الفصل يعدد، ويوضح هذه العلوم المساعدة لتحقيق كتب التراث والمخطوطات العربية، ويحصره في ستة عشر علمًا، ويقول خاتمًا هذا الفصل: «والذي أريد أن أقوله: إن تحقيق النصوص محتاج إلى مصابرة (مثابرة) وإلى يقظة علمية، وسخاء في الجهد الذي لا يضن على الكلمة الواحدة بيوم واحد، أو أيام معدودات»[2]، وهي كلمة تكتب بمداد من ذهب.

وفي الفصل الثالث ينتقل المؤلف للحديث عن قواعد وأساليب ومناهج تحقيق المخطوطات، وله في هذا الفصل كلمة لم أجد مناصًا من اقتناصها والتعليق عليها، حيث يقول:

«وقد بلغ من أهمية المخطوطات من الناحية العلمية والتراثية أن بيعت بعضها بمئات الآلاف من الدولارات، أو الجنيهات الإسترلينية. كما برزت جماعات تعمل بين أوربا، وأمريكا، وألمانيا، وعواصم العالم الإسلامي، مثل: استانبول، والقاهرة، ودمشق، وبيروت، وبغداد، والمغرب، وتونس، وعمله الأول تأمين المخطوطات بأساليب متعددة لنقلها إلى الخارج والإتجار بها وبيعها لهواة جمع التراث الإسلامي والعربي» [3].

فهذه الكلمة تبين تقدير الغرب لتراثنا العلمي الضخم، فهل قدره ورثته؟، وأين هم أصحاب الهمم ممن يجدون في أنفسهم صفات المحقق الجيد؟، فهذا إرثنا ونحن أحق به و أهله.

وفي الفصل الرابع يعرض المؤلف نماذج من تحقيق المخطوطات والفهرسة، وهنا يقدم الناحية التطبيقية للتحقيق.

وفي الفصل الرابع والأخير يقدم مؤلفنا لطلاب الدراسات العليا في الجامعات منهج وقواعد كتابة البحوث والرسائل العلمية الجامعية، وقراءة مثل هذا الموضوع مهم لكل أولئك الطلاب.

ثم يذيل كتابه بقائمة طويلة من المصادر العربية الأولية من كتب التراث، ومراجع عربية وأخرى معربة، إضافة إلى المصادر والمراجع الأجنبية.

(١) ()المرجع نفسه، ص ١٠٥ - ١١٠ .
(٢) ()نفسه، ص١٤١.
(٣) ()نفسه، ص١٥٥.

قراءة في كتاب:

التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة

من الكتب العزيزة على قلوبنا؛ لأنه عن تاريخ طيبة الطيبة تُشكر دارة الملك عبد العزيز على نشره وطباعته وتوزيعه في إطار جهودها المشكورة لحفظ تاريخ الجزيرة العربية، وقد حققه الأستاذ الدكتور سليمان الرحيلي.

وجهد المحقق ملحوظ، ويُشكر عليه، حيث يذكر صلته بهذا الكتاب، فيقول: «وتعود صلتي بهذا الكتاب إلى أكثر من عشر سنوات عندما اعتمدت عليه في بعض أبحاثي المتعلقة بالمدينة، وأدركت منذ ذلك الوقت أن هذا الكتاب يحتاج إلى دراسة وتحقيق...»[١] .

كما ينقد المحقق تحقيق الباحث الأستاذ عبد الله بن سليمان اللهيب لهذا الكتاب؛ لأنه اعتمد في تحقيقه على نسخة واحدة من مخطوطاته، ولم يقابلها بالنسخ الأخرى، بالإضافة إلى بعض الهنات الأخرى التي حرص المحقق سليمان الرحيلي على تجاوزها[٢].

ويبدأ المحقق بالكتابة والتعريف بحياة المؤلف وشيوخه ورحلاته ومؤلفاته.

ويعلق المحقق على عنوان الكتاب: (التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة)، فيقول: «فكأن المؤلف يريد أن يعرف بما ناله الهجر والنسيان والاندثار من معالم المدينة، وهذا يُصحح ما شاع من أن اسم الكتاب هو التعريف بما آنست...» [٣] .

وهي ملاحظة جيدة للمحقق، كما تظهر دقة ملاحظة المحقق وجهده في رصد منهج المؤلف، ويرصده في خمسة محاور تفصح بوضوح عن تميُّز المطري في كتابه هذا.

ويذكر أن المطري عايش تاريخ المدينة ومعالمها وتميزه عن غيره من الرحالة، يقول:(وإن لم يوظف ذلك بما فيه الكفاية) [٤]، كما يقول المحقق أن المؤلف»لم يذكر شيئًا

(١) التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، جمال الدين محمد بن أحمد المطري، دراسة وتحقيق: أ. د سليمان الرحيلي، الطبعة بدون، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م ، دارة الملك عبد العزيز : الرياض ، ص ٩ .

(٢) نفسه، ص ١٠.

(٣) نفسه، ص١٩.

(٤) نفسه، ص٢٢.

عن الأحوال السياسية، والاقتصادية، والإدارية في المدينة خلال عصره....» [1] في إشارة لطيفة من المحقق بأهمية هذه الأحوال و ارتباطها بتاريخ المنطقة، ثم يذكر المحقق النسخ التي اعتمد عليها، وهي أربع نسخ؛ الأولى بعد وفاة المؤلف بعامين (٧٤٣هـ)، والثانية عام (٧٥٩هـ)، والثالثة عام (٧٧٢هـ)، والرابعة متأخرة عام (١٢٦٧هـ) [2] .

ثم يذكر المحقق الخطوات التي اعتمد عليها في التحقيق، وهي القواعد العامة في تحقيق المخطوطات التاريخية [3].

وقد قسَّم المؤلف هذا الكتاب إلى مواضيع عدة، وليس أبوابًا وفصولاً. ومن هذه المواضيع (ما جاء في فضل المدينة من صحيح البخاري)، و(ذكر الخندق)، و(ذكر حدود الحرم) وغيرها كثير .

وفي الكتاب ملحقات عبارة عن خرائط تعريفية للمدينة وإرشادية، ثم ذيل المحقق كتابه بقائمة من المصادر والمراجع؛ معتمدًا على كتب الأحاديث والتاريخ والمعاجم والأعلام قديمًا وحديثًا، ثم الفهارس.

ختامًا.. يعد هذا الكتاب درة ثمينة من الدرر التي تناولت تاريخ المدينة المنورة .

(١) نفسه، ص٢٢.
(٢) نفسه، ص٢٣-٢٥.
(٣) نفسه، ص٢٧-٢٩.

قراءة في كتاب عمارة الحرم المكي الشريف

إن الكتابة عن تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف شرف عظيم، وله قيمته وأهميته، ومن ذلك كتاب (تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف إلى نهاية العصر العباسي الأول) للباحثة الدكتورة : فوزية حسين مطر.

تقول المؤلفة عن سبب اختيارها لهذا الموضوع (تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف إلى نهاية العصر العباسي الأول): "لأن البحث في تاريخ الحرم في هذه الفترة التاريخية يعتبر الأساس والمنطلق؛ للوقوف على هذا المنجز الحضاري الذي يهم العالم الإسلامي كله، كما أن هذا البحث يربط الماضي بالحاضر وبالمستقبل أيضًا، فالكعبة المشرفة تعتبر قبلة المسلمين الخالدة في مشارق الأرض ومغاربها منذ بدء الخليقة، فهم يتوجهون إليها في كل صلاة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

أما بئر زمزم، ومقام إبراهيم الخليل، وحجر إسماعيل -عليه السلام- فكلها أماكن تاريخية لا بد من التعرف على حقيقتها، ونحن أحق من غيرنا بأن نعرف تاريخ آثارنا الحية والصادقة التي لا تزال ماثلة أمام أعيننا دون شك أو ريب...» [1].

وأحسب أن مثل هذا البحث جدير بأن يستكمل حتى العصر الحديث، وتبين منجزات الدولة السعودية في ذلك؛ لأنها منجزات جبارة جدًّا، ولا تزال قائمة ومستمرة بإذن الله، وقد يكون حدث مثل هذا، وإن لم يتناه إلى علمي.

وتبدأ الباحثة بحثها بعد ذلك بخريطة توضح حدود الحرم المكي الشريف، وفي الصفحة التالية تحت عنوان: حدود الحرم المكي الشريف، تقول: هنا حدود الحرم، والمواقيت للإحرام، وما يحرم على المحرم، والحكمة من تحديد الحرم وجوه ذكرها الزركشي ، وحدود الحرم والمطاف، وتختم هذا المدخل لبحثها بصورة قديمة للحرم المكي توضح حدود المطاف، ثم تكتب تحت عنوان : (عمارة الكعبة المشرفة في الجاهلية) .

وتحته ثلاثة مباحث، هي :

أولاً: بناء الكعبة قبل إبراهيم-عليه السلام -، وبناء آدم للكعبة المشرفة.

(١) تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف إلى نهاية العصر العباسي الأول، دكتورة فوزيه حسين مطر، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م ، ص ١ .

ثانيًا: عمارة الكعبة المشرفة في عهد إبراهيم الخليل.

ثالثًا: عمارة الكعبة المشرفة في عهد قريش، وبناء قصي بن كلاب للكعبة المشرفة.

والكعبة المشرفة في عهد عبد المطلب، وآخر عمارة للكعبة المشرفة في الجاهلية.

ويحمد للباحثة –هنا– بحثها عن تاريخ عمارة الحرم منذ أقدم عصوره، وقد أفادت الباحثة من كتب التفسير والتاريخ، وكتب في العمارة .

ثم تدلف الباحثة إلى الباب الأول، وهو ثلاثة في فصول، هي :

الفصل الأول: الكعبة المشرفة قبل البعثة النبوية، وللرسول– صلى الله عليه وسلم – دور فيها.

الفصل الثاني: الكعبة المشرفة بعد البعثة النبوية.

الفصل الثالث: الكعبة المشرفة بعد فتح مكة، وكسوة الكعبة.

وتزود الباحثة بحثها بصورة لكسوة الكعبة من الوصائل اليمانية التي عُملت منها كسوة الكعبة قبل الإسلام،(وإن كانت غير واضحة).

ثم الباب الثاني، وفيه فصلان :

الفصل الأول:عمارة الحرم المكي في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ.

الفصل الثاني:زيادة عثمان بن عفان للحرم المكي سنة ٢٦هـ.

الباب الثالث :

الفصل الأول : عمارة عبد الله بن الزبير للكعبة المشرفة والحرم الشريف سنة ٦٥هـ.

الفصل الثاني : عمارة الحجاج الثقفي للكعبة سنة ٧٢ هـ.

الفصل الثالث : عمارة عبد الملك بن مروان للحرم المكي الشريف سنة ٧٥هـ.

الفصل الرابع : زيادة الوليد بن عبد الملك بن مروان للحرم المكي الشريف سنة ٩١هـ.

وقد رجعت الباحثة في ذلك إلى مصادر التاريخ الأصيلة، وكتب الأعلام، وكتب

الإمامة والسياسة، كما رجعت كذلك إلى المخطوطات التي ساعدتها في بحثها التاريخي الأصيل.

الباب الرابع والأخير، وفيه :

الفصل الأول: زيادة (أبو جعفر المنصور) للحرم المكي الشريف سنة ١٣٧هـ.

الفصل الثاني : عمارة المهدي الأولى للحرم سنة ١٦١هـ .

عمارة المهدي الثانية للحرم سنة ١٦٤هـ .

وأعمدة المسجد الحرام في عهد المهدي .

وأبواب المسجد الحرام في عهد المهدي .

وكسوة الكعبة المشرفة في العصر العباسي .

وزودت الباحثة هذا الباب بالصور لأعمدة الحرم مكتوب عليها آيات قرآنية، وخريطة لأبواب الحرم في عهد المهدي .

ثم ختمت الباحثة بذكر الجديد في هذا البحث، وما أنجزته فيه.

تقول: «أما الجديد في البحث هنا، فهو ما ذكرته من أقوال بعض المستشرقين الذين ينكرون على العرب فن العمارة، رغم الثراء المعماري الذي كان بالجزيرة العربية «، وذكرت روايات المستشرقين عن كراهية الرسول – ﷺ — للبناء، وأثبتت لهم عكس ذلك.

وتحدثت في الخاتمة عن أبواب بحثها وفصوله، وما أنجزته في كل منها، ثم ذيلت بحثها بقائمة المصادر والمراجع، وهي :

أولاً : القرآن الكريم.

ثانيًا : قائمة المخطوطات.

ثالثًا : قائمة المصادر والمراجع العربية المطبوعة، وتنوعت بين كتب الرحلات، والعمارة، واللغة، والأدب، والتفسير، والفقه، والسيرة النبوية، والمناسك، والاجتماع، والجغرافية، وكتب غير عربية مترجمة، وكتب الأعلام وغيرها؛ مما يعني عناية الباحثة الدكتوره فوزية حسين مطر ببحثها ليخرج في حلة بهية، وديباجة جميلة؛ فكان لها ذلك.

وقد أردت من هذه القراءة الإشارة إلى هذا البحث لمن له اهتمام بمثل هذا المجال، وكنت أتمنى لو استكمل البحث ليشمل عمارة الحرم في عهد المماليك، والدولة العثمانية، ومن ثم الحكم السعودي المجيد، وقد يكون ذلك موضع عناية باحثين آخرين .

قراءة في كتاب : آبار مكة المكرمة

الماء مصدر مهم للحياة، قال الله تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[1].

ومن وسائل حفظ الماء حفر الآبار، وإنشاء السدود، إضافة إلى مياه الأنهار والينابيع، وتحلية مياه البحار والمحيطات.

وفي هذا الإطار أهدتني الدكتور الفاضلة/ نعيمة بنت عبدالله بن دهيش كتيبًا قيمًا في بابه، بعنوان (آبار مكة المكرمة). والكتابة عن مكة المكرمة: تاريخها، ومعالمها، وآثارها، وغير ذلك لها أهمية خاصة جدًّا؛ لأن مكة المكرمة مهبط الوحي، ومهوى أفئدة المسلمين في كل أنحاء المعمورة.

وقد بدأت الباحثة بحثها بمقدمة جميلة تحدثت فيها عن أهمية الماء بوصفه مصدرًا مهمًّا لحياة كل كائن حي، وتستدل على أهمية الماء بعدد من النصوص الشرعية في الكتاب والسنة.

وتشير الباحثة الدكتورة نعيمة إشارة مهمة، فتقول:»وينبغي أن يفطن الإنسان إلى أن موارد المياه في العالم محدودة وقليلة؛ فلا يسرف في استعماله لها، ولا هدره إياها بما لا داعي له؛ فهذا رسولنا وقدوتنا الكريم – ﷺ – يعلمنا كيفية الاقتصاد في الماء؛ فقد ورد عن سفينة أنه قال: ''كان رسول الله –ﷺ– يغسله الصاع من الماء من الجنابة ويوضئه المد''، ويبين هذا الحديث الطريقة المثلى لاستخدام المياه بشكل عام في الجزيرة العربية القاحلة، وعلى وجه الخصوص مكة المكرمة؛ حيث عاش الرسول ﷺ. وعلى كل حال، فإن الرسول–ﷺ– نهى عن الإسراف في استخدام المياه، حتى ولو كانت وفيرة؛ فروي عن رسول الله –ﷺ– أنه مر بسعد وهو يتوضأ، فقال:

'' ما هذا السرف؟ قال: أفي الوضوء سرف؟ قال:نعم وإن كنت على نهر جارٍ».

فمكة المكرمة بنص القرآن مكان لا يوجد فيه مقومات استمرار الحياة؛ فهو غير ذي زرع، والماء قبل كل شيء منفعة اجتماعية في الإسلام؛ فهو هبة من الله، وعنصر ضروري لاستمرار الحياة.

(١) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

إن المياه ملك للمجتمع بأسره، وأول استعمالات المياه هو الحصول على مياه الشرب بكمية ونوعية مقبولين؛ للحفاظ على حياة البشر، ولكل كائن حي الحق في الحصول على هذه الحاجة الأساسية، ثم توفيرها للحيوانات الأليفة، وأخيرًا توفيرها لأغراض الزراعة والري" .

وفي لمحة تاريخية مهمة تعرضت الباحثة بصورة موجزة ومركّزة لأهم الآبار التي تمد مكة المكرمة بالماء قبل زمزم، وهذه الآبار التي ذكرتها الباحثة هي: بئر كر آدم، وبئر رم، وبئر حم، وبئر اليسيرة، وبئر الرواء، وبئر العجول، وبئر عند الردم الأعلى، وبئر بذر، وبئر سجلة، وبئر الطوى، وبئر الجفر، وبئر أم حجلان، وبئر العلوق، وبئر سقية (شفية)، وبئر السنبلة، وبئر أم حردان، وبئر مرمرم، وبئر العمر، وبئر أم أحراد، وبئر سقيا، وبئر الثريا (الخفير)، وبئر النقع، وبئر ميمون بن الحضرمي .

وأثناء ذكر الباحثة لهذه الآبار تذكر أهم ما قيل عنها في كتب التاريخ، خاصة كتب تاريخ مكة وأخبارها، كما أجد أن الباحثة قد اعتنت بالتحقيق؛ فعادت في الهامش إلى التعريف ببعض الشخصيات التي ذكرت في المصادر والمراجع التي أفادت منها، كما عادت إلى بعض قواميس اللغة العربية للتعريف بمعنى أسماء بعض الآبار، وقامت بتخريج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وذكرت بعض التعليقات لبعض العلماء في عصرنا الحديث على ما ورد في كتب التاريخ، ومن أهم هؤلاء العلماء الشيخ الدكتور عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ولا يفوت الباحثة أن ترجع إلى كتب السيرة، ومن أبرزها سيرة ابن هشام .

ثم تذكر الدكتورة نعيمة (الآبار التي حفرت بعد زمزم في الجاهلية)، وهي: (بئر الأسود بن البخترين، وبئر ركايا قدامة بن مظعون، وبئر حويطب بن عبدالعري، وبئر مولاة الخيرازان، وبئر بأجياد).

وقد تحدثت الباحثة عن هذه الآبار بإيجاز شديد، وتتبع طريقتها نفسها في ذكر الهوامش، وأجد أن أخاها الشيخ الدكتور عبدالملك بن دهيش -رحمه الله وغفر له- وهو من الدارسين للتاريخ في عصرنا الحديث، حاضر بتعليقات على كتب أخبار مكة فيما يخص الحديث عن آبار مكة المكرمة، وهذا التكامل الأسري العلمي جميل جدًّا؛ فكلا الباحثين من أعلام الدارسين للتاريخ من أهالي مكة المكرمة في عصرنا الحديث.

ثم تحدثت الباحثة عن أهم وأشهر آبار مكة المكرمة, وهي البئر المباركة (بئر زمزم)

بشيء من الإسهاب، وتبدأ كلامها بإعطاء لمحة موجزة عن أهمية البئر، وتقول: ''أشهر بئر على وجه الأرض، لمكانته الروحية المتميزة، وارتباطه في وجدان المسلمين عامة بمشاعر الحج والعمرة، وهي البئر المباركة التي فجَّرها جبريل – عليه السلام – لإسماعيل وأمه عليهما السلام، حيث تركهما خليل الله إبراهيم – عليه السلام –في ذلك الوادي القفر، قال الله –عز وجل– على لسان إبراهيم: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾[1]» .

وتحدثت في هذا المبحث عن فضل ماء زمزم، ولا يفوتها الإشارة إلى عدد من الأحاديث النبوية الشريفة عن فضل ماء زمزم، كالحديث المشهور: ''ماء زمزم لما شرب له ، فإن شربته تستشفي به شفاك الله، وإن شربته مستعيذًا عاذك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك..'' وغير ذلك من أحاديث، كقوله صلى الله عليه وسلم: ''خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام طعم، وشفاء السقم، وشر ماء على وجه الأرض ماء بوادي برهوت بقية حضرموت كرجل الجراد من الهوام يصبح يتدفق ويمسي لا بلال بها''.

وتحدثت بإيجاز عن سبب تسميتها بذلك، ومن الأسماء كثرة هذه الماء.

وترجع الباحثةُ القارئَ إلى كتاب (تهذيب اللغات) للاستزادة، كما تشير الدكتورة نعيمة إلى (كيف ظهر ماء زمزم بشيء من الإسهاب)، ثم تذكر ما ذكره المؤرخون عن بئر زمزم، وحفر عبدالمطلب لبئر زمزم بشيء من الإسهاب، ثم تذكر أسماء بئر زمزم ومنها: زمزم، وزمم، زميزم، زمازم، ركضة جبرائيل، هزمة جبرائيل، هزمة الملك، سقيا الله لإسماعيل عليه السلام، الشباع، سباعة، برة، مضنونة، تكتم، شفاء سقم، طعام طعم، شراب الأبرار، طعام الأبرار، ظبية، كافية، مؤنسة.....إلخ).

وفي مبحث مهم تشير الباحثة إلى فوائد شرب ماء زمزم، وتعود في ذلك إلى كتب شروح الحديث مثل: المستدرك على الصحيحين، وسنن الدارقطني، وكتب التاريخ.

وتشير إشارة مهمة إلى آداب شرب ماء زمزم،ومنها: (استقبال القبلة، وذكر اسم الله، والتنفس ثلاثًا، والتضلع منها، فإذا فرغت فاحمد الله تعالى).

وتواصل الباحثة بحثها بالحديث عن (بركة ماء زمزم)، وتختمه بالحديث عن اهتمام الدولة السعودية ببئر زمزم، وتقول في هذا السياق: ''لقد اهتمت حكومة المملكة العربية

(١) () سورة إبراهيم، الآية ٣٧.

السعودية ببئر زمزم، كما اهتمت بعمارة وتوسعة الحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة أبلغ الاهتمام، وقد استبدلت الدولة السعودية بالدلاء التي كان الحجيج وأهل مكة يستقون بها من البئر مضخة لتضخ الماء إلى الخزان عام ١٣٧٣هـ، ومن الخزان إلى الصنابير حول مبنى البئر، ثم في بداية عام ١٤٠٠هـ تم تنظيف بئر زمزم وتطهيره، وتم تركيب مضخات كبيرة وحديثة لضخ جميع المياه الموجودة في البئر..، وتم تحويل مسار ماء زمزم إلى صنابير مياه داخل وخارج الحرم المكي الشريف، وكان ذلك عام ١٤٢٤هـ، وقد كانت الحكومة السعودية في عام ١٤١٥هـ نفذت بناء مدت مياه زمزم إليه، يقع في كدي" .

ولا شك في أن جهود الحكومة السعودية كبيرة جدًّا، وتُذكر فتُشكر؛ فجزاهم الله -تعالى- على مشاريع توسعة الحرمين الشريفين خير الجزاء .

ولا يفوت الباحثة أن تكتب (وصف البئر أثناء تنظيفه مستعينة بكلام المهندس الكوشك)، وهذه الإشارة الأخيرة دليل على شدة حرص الدكتورة نعيمة بنت دهيش بكتابة وحصر كل ما يتصل ببئر زمزم؛ لأهميته الروحانية عند المسلمين كافة، وحرصها على تتميم هذا المبحث.

وفي خاتمة بحثها قدمت الدكتورة نعيمة نبذة موجزة عن آبار مكة المكرمة، التي بلغت ثلاثين بئرًا، إضافة إلى بئر زمزم، وتشير في ذلك إلى جهود الدولة السعودية في معالجة نقص المياه التي تعاني منها الجزيرة العربية أشد المعاناة من قلة المياه الصالحة للشرب، بوسائل عدة: كحفر الآبار الارتوازية، وتجميع مياه العيون في بعض الأودية، ونقلها إلى المدن، وتحلية المياه المالحة إلى مياه عذبة؛ فأنشأت عام ١٣٨٩هـ محطتين لذلك في الوجه وضبا على ساحل البحر الأحمر، ونتيجة لنجاح هاتين المحطتين تم إنشاء محطة لتحلية المياه في جدة عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

وقد ذيلت الباحثة هذا البحث القيّم بقائمة من المصادر والمراجع، أهمها: القرآن الكريم، وكتب شروح الحديث، وكتب اللغة، وكتب التاريخ، والتفسير، والسيرة.

ختامًا: أهدي هذه المقالة إلى سعادة الدكتورة نعيمة بنت عبدالله بن دهيش، التي شُرفت بمعرفتها، فوجدتها حسنة الخلق، طيبة المعشر، متواضعة لوجه الله تعالى، بارك الله فيها وفي أسرة ابن دهيش العلمية .

قراءة في كتاب من أخبار البادية في نجد ٥٠٠ ـ ٨٥٠ هـ

كتاب (من أخبار البادية في نجد ٥٠٠- ٨٥٠ هـ) لمؤلفه أيمن سعد النفجان.

يقع الكتاب في ١٢٨ صفحة، وهو كتاب مهم في بابه؛ لقلة التأليف في أخبار نجد في هذه الفترة.

يقول الباحث في مقدمة الكتاب : ''يتفق المؤرخون المعاصرون على أن أكثر الفترات التاريخية غموضًا في تاريخ نجد هي تلك الحقبة الواقعة ما بين سقوط إمارة بني الأخيضر في نهاية القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن التاسع الهجري؛ لذلك فإن المقالات والبحوث التاريخية التي عنيت بتلك الفترة قليلة، ولعل أبلغ وصف لطبيعة البحث في تلك الفترة هو وصف الدكتور فهد الدامغ، حيث وصفه بأنه : '' تصيد للشذرات المبعثرة، والإفادة المبددة ثم الربط بينها،وتحليلها واستجلاء دلالاتها، واستخلاص نتائج منها '' [١] « [٢].

وبعد المقدمة، ذكر الباحث نطاق البحث، وهو:

النطاق الجغرافي : ويحددها بالمنطقة التي حدودها بلاد البحرين من الشرق، والعراق من الشمال، والحجاز من الغرب، وصحراء الربع الخالي من الجنوب.

النطاق الزمني : وهو المحدد بالفترة بين ٥٠٠- ٨٥٠ هـ

التركيز على الجانب التاريخي.

وقد ذكر الباحث أنه اعتنى في بحثه بتتبع مساكن القبائل، وأخبارها في نجد، وعلاقتها مع الدول والسلاطين، وركز على الأنساب الصريحة بإيجاز.

وبين الباحث منهج الكتاب بأنه اعتمد على نقل المعلومات بإيجاز، واتخذ أسلوب الاستنتاج فيما ندر من توفر المعلومات فيه، كما حقق المواضع غير المعروفة للقارئ، أما المشهور من مدن نجد فلم يحققها، واعتمد في رفع نسب بعض العشائر والأعلام على ما ورد في حواشي المصادر المعتمدة لديه.

(١) التاريخ السياسي لبلاد اليمامة منذ سقوط دولة الأخيضرين حتى قيام إمارة الدرعية، مقال للدكتور فهد عبد العزيز الدامغ.
(٢) من أخبار البادية في نجد ٥٠٠ -٨٥٠ هـ، أيمن سعد النفجان، الطبعة الأولى ، عنيزة، ١٤٢٩هـ، ص ٥.

وقد قسم الباحث بحثه إلى أربعة فصول، وهي:

الفصل الأول : توطئة لتوضيح المصطلحات والمعوقات.

الفصل الثاني : تعريف بالبادية وعلاقتها بالأطراف الأخرى.

الفصل الثالث : فيه وصف للحالة العامة في نجد.

الفصل الرابع: فيه سرد للأخبار مقسم بحسب القرون في الفترة المذكورة.

بعد ذلك ذكر الباحث المصادر التي اعتمد عليها، وهي: المصادر الجغرافية والرحلات،والمصادر التاريخية، كتب الأنساب، والموسوعات، والتراجم، والشعر، والمصادر المتأخرة .

وتحدث الباحث عن هذه الأنواع من المصادر،وكيف أفاد منها، والصعوبات التي واجهته.

وقد بدأ الفصل الأول بعنوان: توطئة، حيث تحدث فيه عن التدوين التاريخي ذاكرًا شح المعلومات في المصادر عن تلك الفترة عن نجد وبعض المدن المجاورة، كالعراق، ومكة المكرمة، وشرق الجزيرة العربية، ويعزو ذلك لسوء الأوضاع السياسية في تلك الفترة نتيجة هجمات الصليبين والتتار على المنطقة، ولا يعني ذلك عدم وجود معلومات للتاريخ النجدي، كما استثنى من ذلك اليمن لازدهار تلك المنطقة في ظل وجود الدولة الرسولية، وكذلك المدينة المنورة، وهي أكثر المناطق التي حظيت بعناية المؤرخين بسبب الاستقرار السياسي في ظل إمارة آل مهنا.

وذكر بعد ذلك معوقات البحث، ويلاحظ على الباحث إعادة ما ذكره عند الحديث عن مصادر البحث بشيء من التوسع.

وفي الفصل الثاني قدم الباحث لمحة موجزة ومركزة جدًّا عن أحوال البادية والظروف التي أدت لبروزها وعلاقتها مع الأطراف الأخرى.

ومما يحمد للباحث إشارته إلى الأوضاع الاجتماعية، بالإضافة للأوضاع التاريخية، كإشارته إلى أنواع لباس الرجال والنساء في تلك الفترة، وهي معلومة قد يعتبرها البعض غير مهمة، لكنها على عكس ذلك تثري البحث، وتجعله أكثر تشويقًا، ومن ذلك ما ذكره عند الحديث عن علاقة البادية ببلاد البحرين، وهي شرق الجزيرة العربية بأن البادية

تزور الأحساء بشكل خاص لاكتيال التمر الذي تشتهر به . ومن ذلك إشارته إلى ضعف علاقة البادية النجدية بمكة المكرمة والسبب في ذلك، وعكس ذلك العلاقة القوية بين آل مهنا أمراء المدينة وبادية نجد، وينقل قول السمهودي عن المدينة المنورة : ''قال بعضهم نصفها حجازي، ونصفها تهامي، وقيل هي نجدية ''[1].

وفي هذا الفصل يتحدث الباحث عن أقسام البادية النجدية، وهي:بادية اليمامة، وبادية عالية نجد، وبادية شمال نجد، وبادية القصيم، وبادية شرق نجد. وفي حديثه عن كل قسم يعطي معلومات موجزة ومركزة عن الأوضاع السياسية، والجغرافية، والتاريخية، والاقتصادية.

والذي ألاحظه أن الباحث لم يوثق معلوماته من أي مصدر، أو مرجع، وإن كان رجع إليه، فالقارئ يريد أن يطمئن إلى مثل هذه المعلومات من مصادرها ومراجعها، إلا ما ذكره عن وصف الرحالة محمد بن جبير الأندلسي عن طبيعة نجد، والذي أراه أن مثل هذا الوصف يحسن ذكره في مقدمة البحث .

وفي الفصل الثالث تحدث عن الوضع العام في نجد، فقسم الحديث فيه عن الحياة الاجتماعية والحياة العلمية، وما يلفت الانتباه ما ذكره الباحث من ازدهار الحياة العلمية في نجد، وخاصة ما يتصل بالعلوم الشرعية، مُرجعًا سبب ذلك إلى الهجرة الكبيرة التي شهدتها بلاد العراق، والشام إلى الجزيرة العربية نتيجة لهجوم التتار، وكذلك كان لأهل نجد علاقة طيبة بالعلماء، كالتلمساني، وفيها مراكز علمية. وتحدث عن الحياة الثقافية في نجد. ومن أبرز ما ذكره ظهور الشعر العامي، أو ما يعرف بالنبطي، أو الشعر الوسط كما سماه الصويان.والقارئ هنا يحتاج إلى توضيح اسم الصويان، وذكر وصفه من مرجعه، وذكر البناء في نجد وما يعرف عنها من بناء المساكن والأطام والقصور منذ القدم، كما أشار إلى تحسن الأوضاع الاقتصادية بشيء من التفصيل، وأبرزها: الزراعة، كزراعة التمر في الخرج، وزراعة الحنطة في القرن الثامن.

وفي الفصل الرابع تحدث عن أخبار البادية في نجد، وفي هذا الفصل الذي يحمل عنوان الكتاب يسهب الباحث في وصف أخبار بادية نجد والقبائل التي سكنتها والأوضاع التاريخية والسياسية.

ثم ذكر خاتمة البحث، وهي موجزة جدًّا شكر فيها من شجعه، وأنه يتقبل النقد

(١) خلاصة الوفاء، للسمهودي، طبعة مصر، ج ٢، ص ٢٢٧ .

من النقاد والباحثين.

والذي أراه أن مكان هذا في مقدمة البحث، كما تمنيت أن يذكر الباحث في الخاتمة أهم وأبرز نتائج البحث.

وبعد الخاتمة ذكر الباحث قائمة بالمصادر والمراجع .

قراءة في كتاب المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح

لأن تحقق كتابًا في التاريخ؛ فهذا شرف لك، وأن تحقق كتابًا في الأدب؛ فذلك –أيضًا– شرف لك، وكذلك لو قمت بتحقيق أي كتاب من كتب التراث الإسلامي فيه نفع للبشرية، لكن أن تحقق كتابًا في السنة النبوية وثواب العمل الصالح، فذلك غاية الشرف؛ لأن فيه صلاح أمر الدنيا والآخرة .

وهذا ما قام به الدكتور/عبد الملك بن عبد الله بن دهيش–رحمه الله، وغفر له– بتحقيق كتاب (المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح)[1]، للحافظ أبي محمد شرف الدين عبد المؤمن بن شرف الدمياطي .

وهو من الكتب التي تستهويني كثيرًا، وأحسب أنه يستهوي طائفة كبيرة من المسلمين؛ لأنه يحث على العمل الصالح، ويرغّب فيه.

وقد قسم الكتاب إلى أبواب من الأعمال الصالحة، ذكر في كل باب ثواب هذا العمل الصالح المتحدث عنه من الكتاب والسنة.

وطبيعي أن النفس البشرية تعرف الأعمال الصالحة، ولكنها تحتاج كثيرًا إلى من ينبهها إلى الخير، ويبين لها ثواب العمل الصالح، فتجدّ، وتنشط في العمل الصالح؛ لتحصيل الأجر والثواب .

والشرع الحكيم بنصوص الكتاب والسنة سلك منهج الترغيب والترهيب، وبالتالي فإن الدمياطي المتوفي ٥٧٥ هـ سلك مسلك الترغيب ساردًا كل ما فيه ترغيب في الأعمال الصالحة من الكتاب والسنة.

وبين يدي الطبعة الخامسة عشر، وتمتاز عن سابقتها–كما يقول المحقق الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش رحمه الله– بأمور :

أولها: إعادة قراءة نص الكتاب وتصحيح بعض الأخطاء المطبعية، ولا أدري هل يعني المحقق بكلمة (بعض) أنه يوجد أخطاء مطبعية باقية على حالها، وإن كان كذلك، فلما لم يسع إلى تصحيحها.

(١) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، الحافظ أبو محمد شرف الدين عبد المؤمن بن شرف الدمياطي، تحقيق أ.د.عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط١٥، دار خضر : بيروت ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

ثانيها: إيضاح المنهج الذي سار عليه الحافظ الدمياطي، ومدى التزامه بمنهجه .

ثالثها: تخريج أحاديث الكتاب، وترقيمه ترقيمًا متسلسلاً .

رابعًا:وضع فهرس بأطراف الحديث، يتيح للباحثين سهولة الوصول إلى مبتغاهم .

ويُشكر المحقق على هذا التنظيم والترتيب.

وقد ذكر المحقق هذه الميزات في مقدمة الطبعة الخامسة عشرة كبداية، ثم ترجم للمؤلف ذاكرًا الحياة السياسية والعلمية للمؤلف الدمياطي.

ومن أبرز ملامح تلك الحياة سقوط الخلافة الإسلامية في بغداد سنة ٦٥٦هـ، وما صاحب ذلك من غزو التتار، والمغول، والصليبيين على سائر البلاد الإسلامية .

وفي هذه الفترة عاصر المؤلف طائفة من العلماء الكبار من أمثال: العز بن عبد السلام،وشيخ الإسلام ابن تيمية، والمؤرخ ابن خلكان، وغيرهم من العلماء الذين كان لهم أثر في الحياة السياسية، والأحوال العامة في الدولة.

كما ذكر المحقق ولادة المؤلف، ونشأته، وشيوخه، وتلاميذه، ومناهجه العلمية، ووفاته، كما سرد المحقق مصنفات المؤلف العلمية، وهي في حدود ثلاثة وعشرين مصنفًا حسب ما جمع المحقق، ووجُد في مصادر ترجمته، ثم ذكر مصادر ترجمته.

وبعد ذلك ذكر المحقق منهج المؤلف الدمياطي في هذا الكتاب، وهو كالتالي:

أولاً : يورد في كل باب من أبواب الكتاب ما ورد من آيات الكتاب المبين، ثم يعقب ذلك بجملة من حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وردت في ثواب هذا العمل الصالح .

ثانيًا: يرد الأحاديث إلى أصولها مع بيان صحيحها من عليلها، وسار في ذلك على قاعدة محددة، إذ قال: خرج فلان بإسناده، فهذا السند سقيم ضعيف، وما عدا ذلك من رتب الحديث من كونه صحيحًا، أو حسنًا، أو ضعيفًا، هذا إذا لم ينص مخرج الحديث على درجته .

ومما يؤخذ على المؤلف أنه يضمّن أحاديث ضعيفة في الكتاب.

وكنت أتمنى لو اقتصر على الأحاديث الصحيحة والحسنة، ذلك أنه ليس كل القراء

يحرص على معرفة درجة الحديث، وقد يكون ذلك مدعاة لانتشار الحديث الضعيف، وقد يكون في ذلك شيء من الكذب على الرسول-ﷺ- وهذا إثمة عظيم، وخطره جليل، حتى وإن كان في باب الخير، فمن كذب عليه -ﷺ- متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار .

ثالثًا: إذا كانت الأحاديث في الصحيحين، أو أحدهما لم ينسبه إلى غيرهما إلا لفائدة، و كذا الحال إذا كان الحديث في سنن الأربعة لم ينسبه إلى المسانيد، أو المعاجم إلا لفائدة .

رابعًا : أورد هذا الكتاب كل عمل نص النبي - ﷺ- على ثوابه، أما ما لم يرد فيه نص، بل كان من أفعاله -صلى الله عليه و سلم- أو من أمره ولم يبن أجر فاعله، فإنه لا يورد هذا العمل إلا في القليل النادر .

ثم ذكر المحقق -رحمه الله- أن المؤلف التزم بمنهجه، وضرب لذلك أمثلة، وكون العالم يختط لنفسه منهجًا علميًّا للتأليف فهذه ميزة له.

بعد ذلك ذكر المؤلف -رحمه الله- المصادر التي اعتمد عليها المؤلف .

ثم ذكر اسم الكتاب كما ورد في المخطوطات التي حصل عليها، وهي تركية، ومصرية .

ثم قام المحقق بوصف النسخ التي اعتمد عليها في التحقيق، وذكر عمله في الكتاب، وهو التحقيق، والذي تمثل في:

ضبط نص الكتاب، والمقابلة بين النسخ .

ترقيم أحاديث الكتاب برقم واحد متسلسل .

ذكر مواضع الآيات القرآنية من السور في القرآن الكريم .

خرَّج الأحاديث بذكر المصدر والجزء والصفحة، وما لم يجده مطبوعًا أشار إليه، وما لم يجده في موضعه بين من خرجه، وهذه ميزة للمحقق.

وضع فهرسًا لأطراف الأحاديث الواردة في الكتاب، وفهرسًا للموضوعات، وهذا منهج جيد نظّم الكتاب، ورتَّبه.

كما لاحظت أن المحقق اتبع أساسيات التحقيق المتعارف عليها من التعريف

بالأسماء الواردة في الحديث، وأيضًا بيان ما أشكل من اللغة، كما أنه يشير إلى الكتب غير المطبوعة التي يذكرها المؤلف .

كما يشير المحقق –رحمه الله– إذا استدعى الموقف إلى ما في النسخ الأخرى في بعض ألفاظ النص، كما يذكر –أحيانًا– معلومات تعريفية عن بعض رواة الحديث، أو من ورد اسمه في نص الحديث.

ثم يضع المحقق نماذج من المخطوطتين تبين الجهد الكبير الذي بذله المحقق عبد الملك بن دهيش –رحمه الله– في التحقيق، ثم يبدأ نص الكتاب بادئًا بمقدمة المؤلف، وهي قطعة أدبية بليغة.

وقد قام المؤلف بتقسيم الكتاب إلى أبواب العمل الصالح بادئًا بباب العلم وخاتمًا أبواب الكتاب بباب الزهد؛ فهل لهذه البداية والنهاية في التقسيم حكمة مقصودة ؟! .... والذي أراه أن العلم هو بداية العمل وبداية كل خير، ولن تتم أبواب الخير والعمل الصالح إلا بالخلق الرفيع والتواضع، وعدم طول الأمل في الدنيا والزهد فيها، ثم اختتم الكتاب بفهارس بأطراف الأحاديث حسب الحروف الهجائية، ثم الفهارس حسب المواضيع .

ويجد القارئ في ختام الكتاب السيرة الذاتية لمحقق الكتاب الشيخ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش –رحمه الله، وغفر له– وهي سيرة حافلة بالإنجازات العلمية والعملية .

الحلم سمة الأذكياء العقلاء

الحلم عكس الواقع ، ولكن من الأحلام ما يتحقق

والحلم الذي أقصده هو ذلك الهدف المتميز الذي يسعى الإنسان لتحقيقه، ويكون مسبوقًا بدوافع عدة، مجملها تتمركز حول الرغبة في تحقيق الذات (وأي ذات تلك) أ هي الذات التي تعيش على هامش الحياة ؟! -إن جاز لي التعبير-أم الذات التي تعيش في صميم الحياة ؟!، وما معنى الحياة أصلاً ؟.

والحياة يا صاحبي هي الوجود، والموت هو العدم، وكل إنسان على هذه البسيطة يرغب في الوجود، ويفر من العدم، يستوي في ذلك الأذكياء والأغبياء .

وأما البلداء -المختلون عقليًّا- فالحياة عندهم كالموت .

وحديثي هنا عن الأذكياء، والأذكياء لا يكتفون بأن يعيشوا في الحياة فحسب، بل هم يريدون أن يكونوا وجهًا مضيئًا في الحياة، وأن يشار إليهم بالبنان،والأهم من هذا هم أناس يفكرون في المستقبل؛ كيف يظلون أحياء بعد أن يواريهم التراب.

فهل عرفت -أخي القارئ- رغبة الأذكياء في تحقيق الذات من خلال الحلم؟ لكن ما رأيك أن تسير معي إلى آخر المشوار؟

أقول لك الآن: هل تستوي صفة الحلم عند الأذكياء والأذكياء العقلاء ؟! ..... لا ..لا يستويان مثلاً.

فالحلم عند الأذكياء غير مشروط بأن يتناسب مع القدرات الشخصية، وغير مشروط بمطابقة الواقع، وغير مشروط بأن يتناسب مع العادات والأعراف الخيِّرة، وغير مشروط بما فيه خير البلاد والعباد، وليس شرطًا فيه أن يكون فيه قتل الأبرياء أم لا ....

فإذا عرفت ذلك كله علمت بداهة بأن حلم الأذكياء العقلاء مشروط فيه كل ما ذكر آنفًا.

فانظر -يا رعاك الله- إلى حلم عباس بن فرناس الذي مات حالمِا، وإلى حلم هتلر

النازي الألماني، وانظر إلى حلم إسرائيل، وانظر إلى ما شئت من أحلام الأذكياء، ولكن غير العقلاء.

وتأمل معي ذلك الحلم الجميل الذي نشكره كثيرًا (حلم المتنبي في الإمارة) الذي ما كان يخالف الشروط السابقة سوى في عدم تناسبه مع قدراته الشخصية، ونعلم الرجل ابتغاء ذلك قتل بيد ابن من هجاه هذا المتنبي النادر في شعره.

وما يعنينا -إذا سلمنا بصدق من قال: إنه أراد الإمارة- هو أن هذا الحلم خلَّد لنا هذا الموروث الشعري الأكثر من رائع.

لا تجرب الدخان، أو المخدرات فقد تهوي في القاع

أخي الشاب! أختي الشابة! يا من أنتم في أجمل مراحل العمر وأقواها وأبهجها، أنصحكم بالذي خلقكم لا تسوِّل لكم أنفسُكم في عمر المراهقة خاصة،أو ما بعده في لحظة من لحظات الحزن، أو المعاناة، أو حتى الفرح أن ينصحكم أحد أصدقاء السوء بشرب الدخان، أو ما شابهه، أو المخدرات؛لأن المرة الأولى ستجعلك تشعر بشيء من النشوة أو السعادة، فقد تنسى همومك وآلامك ومسؤولياتك الحياتية المختلفة، ولكن تذكَّر بأن ذلك لن يطول، فسرعان ما تتعود، ويصعب عليك بعد ذلك الخروج من النفق بسهولة .

واعلم أنها جميعًا محرمة شرعًا؛ لأنها مضيعة للصحة ودمار لها، انظر إلى وجه المدخن، أو مدمن المخدرات ووجه غيره ترى الفرق، وانظر إلى تركيز المدخن والمدمن في الكلام، وفي الحوار لا تراه كغيره، وانظر إلى قوته ونشاطه الجسدي، فلا تراه كغيره بل هو أقل، وانظر إلى قدرته في الإنتاج العلمي والعملي، فلا تراه يفعل ما يفعل غيره، هذا إذا كان مدخنًا، أو مدمنًا في الثامنة عشر، أو ما قبلها،أو ما بعدها ستسوء صحته إذا لم يتدارك نفسه، ويبدأ بنفسه بالعلاج بالتدريج.

فاترك السيجارة، واترك المخدر، واستعن بالله –سبحانه– ثم بمراكز مكافحة التدخين والمخدرات، فالكثير من الجرائم يقدم عليها المدمنون الذين ذهبت عقولهم بسبب المخدرات، وقد يقعون فريسة سهلة لمروجي الفكر الضال.

فأنت أيها الشاب! وأنت أيتها الشابة! أنتم أمل أسرتكم، وأمل مجتمعكم، وأمل وطنكم وأمتكم، إنهم جميعًا في حاجتكم، ويتمنون صلاحكم ونجاحكم وتميزكم، فهلا فعلتم ما يتمنونه منكم ؟ .

وفي هذا المقام أنصح الشباب الذين وقعوا في فخ هذا الوباء

بالاطلاع على تجارب الآخرين، وكيف تجاوزوا أزماتهم، فلابد أن نعطي هؤلاء الثقة بأنفسهم من جديد، ولا نظل نعايرهم بالخطيئة، فالله–سبحانه وتعالى– يغفر، ويتوب على عباده إذا تابوا، أفلا نغفر نحن البشر ؟! .

إذًا لابد أن يستعين المدمنون بالأخصائيين النفسيين والاجتماعيين (إرشاد نفسي واجتماعي)، وبخبراء تنمية الموارد البشرية.

فيا أيها المدمن! إذا أردت تغيير الصورة التي انطبعت في أذهان الناس عنك، فاعمل بجد في بناء ذاتك بالعمل والدورات التدريبية، أو بما تتقنه وتبدع فيه، فجِّر طاقاتك الإبداعية، وابحث عن جوانب التميز لديك، واعمل على تنميتها واستغلالها أفضل استغلال، وكن -دائمًا- مع الله —سبحانه- يكن الله معك، والله لا يضيع أجر المحسنين.

تمنياتي لك بأن تكون نواة صالحة لأسرة صالحة ولمجتمع صالح.

قفلة للشاعر السعودي عبد الله محمد جبر من قصيدة

بعنوان: (الوحوش الآدمية مهربو المخدرات ومروجوها)[1]

مَن مُجيري من العتــاة اللئام ... بعقــاب أقسى من الإعـدام
بعقاب يَحل في كل عضـو ... ويذيبَّ الأرواح في الأجسام
ليسوقَّ الموتَ البطيءَ إليهم ... مثلما سيق للشباب النامي
سلكوا للثراء أسوأ درب ... فحشاهم مزكـومة بالْحَـرام
غير أن الأبالس الرقط تهوى ... أن تـرى الكون كومة من حطام
فالضواري في الغاب تفرق رعبا ... من نفوس نامت على الإجرام
هي أعتى منها وأفجع بطشا ... في مجال التمـويت والإيلام
غاية الوحش أن يمزق فردًا ... ثم يأوي لغـابة في سلام
تاخم البطن ليس يشرع نابًا ... لسوى مسكه بأي طعام
فاسألوهم كم مزقوا من نفوس ... وتمشـوا بالسم بين الأنام

(١) ديوان الثرى والثريا، عبد الله محمد جبر، الطبعة الأولى، نادي الطائف الأدبي، ١٤١٠ هـ ، ص ٣٤ – ٣٦ .

يا معشر الشباب انحتوا في الصخر

يا معشر الشباب! إذا لم تجدوا وظيفة بعد التخرج، أو لم تكملوا تعليمكم، فإن هذا لا يمنعكم من أن تكونوا ذوي همم عالية، وتطلبوا الرزق الحلال بأي طريقة من الطرق المباحة، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[1].

وليس عيبًا أن تعملوا أعمالاً بسيطة، فالمهم أن تكون نافعة للمجتمع، وأن تعملوا ولا تظلوا عالة على أهليكم، قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- :

''أرى الفتى فيعجبني، فإذا قيل لي: إنه لايعمل سقط من عيني''.

أيها الفتى! أيتها الفتاة!

اجعلوا همتكم عالية، واعملوا دائمًا على بناء ذواتكم الخيرة، قال الإمام علي -كرم الله وجهه-:

فكُن رجلاً رجله في الثرى
وهامة همته في الثُّريا

فاعملوا بجد في أي مجال تجدوا أنفسكم مبرزين فيه، سواء في التعليم طلبًا، أو تدريسًا، أو في الأعمال الحكومية، أو الأهلية، فالبطالة مشكلة عالمية لكن لا تيأسوا، وابحثوا، قال أحمد شوقي:

وما بلوغُ المُنى بالتَّمَنِّي
ولكن تُؤخذ الدنيا غِلابا

إن الصحابي الجليل أسامة بن زيد قاد جيش المسلمين، وهو في سن المراهقة .

ولا تيأس أيها الشاب، وتقول عملت كثيرًا ولم أثبت ذاتي، واقرأ معي هذه القصة الجميلة: ''كان هاشم بن بشير بن أبي حازم أبو معاوية الواسطي أحد سادات العلماء ومن الصلحاء العباد، كان أبوه طباخًا، وكان يمنعه من طلب العلم؛ ليساعده على شغله، فأبى إلا أن يسمع الحديث، فاتفق أن هاشمًا مرض فجأة -بعد أن تعلم العلم- فجاءه أبو شيبة قاضي واسط عائدًا ومعه خلق من

(١) سورة الملك، الآية ١٥ .

الناس، فلما رآه بشير –والد هاشم– فرح بذلك، وقال: يا بني! أبلغ من أمرك أن جاء القاضي إلى منْزلي، لا أمنعك بعد اليوم من طلب الحديث ".

حقًّا، على قدر أهل العزم تأتي العزائم.

الصرح الشامخ

من محاسن أقداري أن أسعدتني (دار الدراسات الاقتصادية) ذات يوم جميل ممثلة في الدكتور عبد العزيز إسماعيل داغستاني بإرسال نسخة من مجلة (عالم الاقتصاد) كهدية رائعة لي.

وككاتبة ترسم خطوط أدبها، وتسعى إلى الجمال، والإمتاع، والفن، والحقيقة، والفائدة؛ ولأنني أؤمن بأهمية تنويع كتاباتي، وأن لا أحصر نفسي في مجال معين،وإذا كنت أعتقد كذلك بأهمية التخصص، حدث أن علقت على مقالة للدكتور داغستاني عن تأهيل الشباب السعودي إلى سوق العمل، نشر في عدد لاحق، ظهر في ثوب قشيب، فأرسل لي الدكتور داغستاني مع المجلة تقريرًا عن نشاطات (دار الدراسات الاقتصادية)، أذهلتني، وأدهشتني هذه الدار بما تقوم به من دراسات وبحوث، وخدمات جليلة لخدمة الاقتصاد السعودي، والمستثمر السعودي والأجنبي كذلك .

فقد أنشئت (دار الدراسات الاقتصادية) بالرياض عام ١٤١٠ هجرية، ١٩٩٠ ميلادية، بموجب ترخيص من وزارة التجارة والصناعة رقم (٤٠) بهدف تقديم الاستشارات وإعداد البحوث العلمية، وتنفيذ المسوحات الميدانية، وإجراء دراسات الجدوى الاقتصادية للمستثمرين السعوديين والأجانب.

وتنفرد (دار الدراسات الاقتصادية) باستخدام برنامج comfap expert المعتمد من منظمة الأمم المتحدة الصناعية (يونيدو)، وهو أفضل برنامج كمبيوتر يستخدم في إعداد دراسات الجدوى الاقتصادية .

وقد أعجبني في التقرير قيام الدار بدراسة تنظيمية لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، أحد مفاخر الوطن الغالي و إنجازاته .

فشكرًا دار الدراسات الاقتصادية،

شكرًا دكتور عبد العزيز إسماعيل داغستاني رئيس مجلس إدارة الدار.

و أولي الأمر منكم

إن طاعة ولي الأمر واجبة على الأمة الإسلامية في غير معصية الله، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [1]، فقد ربط الله –ﷻ– طاعة أولي الأمر بطاعة الله ورسوله، ولم يفرق بينها، فإن طاعة الله والرسول تستوجب طاعة ولي الأمر؛ لأن في ذلك صلاح الأمة، واجتماع كلمتها، وتوحيد صفها، قال الرسول –ﷺ–: «السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة'' [2]، وقال –ﷺ–: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشي كان رأسه زبيبة'' [3].

وقال –عليه أفضل صلاة الله وتسليمه–: « من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصى الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جُنَّةٌ يقاتل من ورائه ويتقي به، فإن أمر بتقوى الله وعدل، فإن له بذلك أجرًا، وإن قال بغيره عليه به»[4].

وإن حكامنا في مملكتنا الغالية–حفظها الله وحفظهم من كل سوء يحكِّمون شرع الله –تعالى– فينا، ويعملون كل ما فيه مصلحة المواطن والوطن ، و نحسب فيهم خيرًا ولا نزكيهم على الله تعالى، ومع ذلك فهم ليسوا ملائكة ولا أنبياء، وإنما هم بشر يصيبون ويخطئون. وفي الحديث الشريف بمعناه لولا أن المؤمنين يخطئون ويستغفرون الله، ثم يخطئون ويتوبون لأتى الله بعباد آخرين يخطئون، ثم يتوبون، ثم يخطئون، ثم يتوبون.

وإن لاحظ المواطن، أو أنكر أمرًا على ولي الأمر، فإن أبواب ولاة أمرنا مفتوحة للعلماء خاصة وللشعب عامة. وفي الحديث الشريف: ''إن الدين النصيحة، قلت: لمن يا رسول الله ؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم''.

وقد فتحت حكومتنا الرشيدة باب الحوار الوطني، وأتاحت الفرصة لكافة شرائح

(١) سورة النساء، الآية ٥٩ .

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري،ابن حجر العسقلاني،تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى ، دار مصر : الفجالة ، ١٤٢١هجرية، ٢٠٠١ ميلادية ، ج ٦، ص ١٦٤ .

(٣) المصدر نفسه، ج ١٣، ص ١٧٤.

(٤))فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٦٤ .

المواطنين للمشاركة، وأن يطرحوا ما لديهم من أفكار ورؤى، وما يعانون من مشاكل على مختلف الأصعدة.

ولولي الأمر حقوق عشرة ذكرها العلماء، كما وردت في النصوص الشرعية، يقول الدكتور عبد السلام بن برجس العبد الكريم في كتابه: (معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة)، وهو كتاب أوصى بقراءة ما فيه للتعرف على المعاملة الشرعية للحكام بالنصوص الثابتة: ''أما حقوق السلطان العشرة :

الحق الأول: بذل الطاعة له ظاهرًا وباطنًا في كل ما يأمر به، أو ينهى عنه، إلا أن يكون معصية، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ (١)، وأولو الأمر هم: الإمام ونوابه—عند الأكثرين-وقيل: هم العلماء، وقال النبي ﷺ: '' السمع والطاعة على المسلم فيما أحب، أو كره ما لم يؤمر بمعصيته ''.

فقد أوجب الله —تعالى- ورسوله طاعة ولي الأمر، ولم يستثن منه سوى المعصية، فبقي ما عداه من الامتثال.

الحق الثاني:بذل النصيحة له سرًّا وعلانية،قال رسول الله -ﷺ-: ''الدين النصيحة قالوا:لمن؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ''.

الحق الثالث: القيام بنصرتهم باطنًا وظاهرًا ببذل المجهود في ذلك لما فيه نصر المسلمين وإقامة حرمة الدين وكف أيدي المعتدين.

الحق الرابع: أن يعرف له عظيم حقه، وما يجب له من تعظيم قدره، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام، وما جعل الله —تعالى- له من الإعظام؛ ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم، ويلبُّون دعوتهم مع زهدهم وورعهم، وعدم الطمع فيما لديهم، وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم، فليس من السنة.

الحق الخامس: إيقاظه عند غفلته، وإرشاده عند هفوته، شفقة عليه، و حفظًا لدينه وعرضه، وصيانة لما جعله الله من الخطأ فيه.

الحق السادس: تحذيره من عدو يقصده بسوء، وحاسد يرومه بأذى، أو خارج يخاف عليه منه ومن كل شيء يخاف عليه منه، على اختلاف أنواع ذلك وأجناسه، فإن

(١) سورة النساء، الآية ٥٩ .

ذلك من أكبر حقوقه وأوجبها.

الحق السابع: إعلامه بسيرة عماله، الذين هو مطالب بهم، ومشغول الذمة بسببهم؛ لينظر لنفسه في خلاص ذمته، وللأمة في مصالح ملكه ورعيته.

الحق الثامن: إعانته على ما يتحمله من أعباء الأمة، و مساعدته على ذلك بقدر المستطاع قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾[1]، وأحق من أعين على ذلك ولاة الأمور.

الحق التاسع: رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه، لما في ذلك من مصالح الأمة، وانتظام أمور الملة.

الحق العاشر: الذب عنه بالقول والفعل، وبالمال، والنفس، والأهل، في الظاهر، والباطن، والسر، والعلانية».

وأما ما يتعلق بنصيحة ولي الأمر، فإنه يجب التأدب معه، واجتناب الألفاظ القاسية، أو البذيئة ينقل الدكتور عبد السلام العبد الكريم في حديثه عن الإنكار على الولاة ما نصه :

"قال ابن الجوزي: الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين: التعريف بالوعظ, فأما تخشين القول: نحو يا ظالم! يا من لا يخاف الله! فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها إلى الغير لم يجز, وإن لم يخف إلا على نفسه، فهو جائز عند جمهور العلماء. قال: والذي أراه المنع من ذلك "[2] .

كما أن الدعوات المغرضة ممن يزعمون الإصلاح، وهم يدعون للإفساد والفرقة بين أبناء الأمة الواحدة، والوطن الواحد لأغراض في نفوسهم، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢ ﴾[3].

ونصيحتي الصادقة لأحبائي من أخواتي وإخواني عدم الاستجابة لهذه الدعوات، ولو في أضيق الحدود، فإنها دعوات لا خير فيها ولا صلاح, وإنما دعوة صريحة للخروج

(١) سورة المائدة، الآية ٢.
(٢) انظر معاملة الحكام في ضوء الكتاب و السنة، ص ١٦٩- ١٧٢.
(٣) سورة البقرة، الآيتان ١١-١٢.

على ولاة الأمر وعصيانهم, و قد سبق ذكر الحديث الشريف أن من عصى الأمير وولي الأمر فقد عصى الله ورسوله, وأنه يحرم مثل هذا الأمر من التثبيط عن ولي الأمر و الإثارة عليه, يقول الدكتور عبدالسلام العبد الكريم: ''التثبيط عن ولي الأمر له صور عديدة, بعضها أشد من بعض, وكذا إثارة الرعية عليه، فإذا دعا رجل إلى التثبيط-أو الإثارة-, فإن لولي الأمر إيقاع العقوبة الملائمة مع جرمه؛ من ضرب, أو حبس, أو نفي...أو غير ذلك؛ لأن التثبيط والإثارة من أعظم مقدمات الخروج, والخروج من أشنع الجرائم وأبشعها, فكان ما يفضى إليه كذلك.

قال الشوكاني- رحمه الله- في شرح قول صاحب (الأزهار) :'' ويُؤدب من يثبط عنه، أو ينفى, ومن عاداه فبقلبه مخطئ, وبلسانه فاسق, وبيده محارب ، قال: وأما قوله: ويؤدب من يثبط عنه, فالواجب دفعه عن هذا التثبيط, فإن كف, وإلا مستحقًا لتغليظ العقوبة والحيلولة بينه وبين من صار يسعى لديه بالتثبيط,بحبس أو غيره, لأنه مرتكب لمحرم عظيم, وساع في إثارة فتنة تراق بسببها الدماء, وتهتك عندها الحرم, وفي هذا التثبيط نزع ليده من طاعة الإمام. و قد ثبت في الصحيح عنه -ﷺ-أنه قال: من نزع يده من طاعة الإمام, فإنه يجيء يوم القيامة ولا حجة له, ومن مات وهو مفارق للجماعة, فإنه يموت موتة جاهلية....إلخ '' [1]، وإن ممن زعموا فساد ولي الأمر وأرادوا إنكار المنكر فترتب عليه منكر أكبر منه, وهذا ليس من الشريعة في شيء.

وبهذه الدعوى قتلوا المسلمين بغير وجه حق، ويتموا الأطفال، ورملوا النساء، ودمروا منجزات الوطن الغالي، التي أنجزها الصالحون من أبنائه، فاعتدوا على النفوس والأموال في الشهر الحرام في البلد الحرام، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[2].

ختامًا : حفظ الله بلاد الحرمين الشريفين وولاة أمرها، ووفقهم لما فيه خير الوطن و المواطن، وحفظ لها أبناءها المخلصين الصالحين يحافظوا على منجزاتها الحضارية، ويعملوا على حفظ أمنها ونهضتها وتطورها .

(١) انظر: معاملة الحكام في ضوء الكتاب و السنة، ص ١٠٩.
(٢) سورة النساء، الآية ٩٣.

قائمة المصادر و المراجع

١- القرآن الكريم
٢- آبار مكة المكرمة، د. نعيمة بن عبد الله بن دهيش .
٣- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني .
٤- إعجاز القرآن، الباقلاني .
٥- البديع في ضوء أساليب القرآن، د . عبد الفتاح لاشين .
٦- البيان و التبين، الجاحظ .
٧- تاج العروس، الزبيدي .
٨- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د . إحسان عباس .
٩- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف، د . فوزيه حسين مطر .
١٠- التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، جمال الدين محمد بن أحمد المطري .
١١- الخصائص، ابن جني .
١٢- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني .
١٣- ديوان الثرى و الثريا ، عبد الله محمد جبر .
١٤- ذيل الآمالي والنوادر، القالي البغدادي .
١٥- شاعرات من عصر النبوة، د . محمد التونجي .
١٦- الشعر و الشعراء، ابن قتيبة .
١٧- صبح الأعشى، القلقشندي .
١٨- الصناعتين، أبو هلال العسكري
١٩- صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي .
٢٠- صورة المطر في الشعر الجاهلي، صحيفة الهدى على الشبكة العنكبوتية .
٢١- العمدة، ابن رشيق القيرواني .
٢٢- عيار الشعر، ابن طباطبا .
٢٣- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني .
٢٤- قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس دراسة بلاغية تحليلية، د . سعيد التوني .
٢٥- كشاف العبارات النقدية و الأدبية في التراث العربي، د . محمود الربداوي .
٢٦- لسان العرب، ابن منظور .

٢٧- المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، أبو محمد شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي .
٢٨- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير .
٢٩- مصارع العشاق، أحمد بن الحسين السراج .
٣٠- معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، عبد السلام بن برجس العبد الكريم .
٣١- معجم البلدان، ياقوت الحموي .
٣٢- المغني في أبواب التوحيد، القاضي عبد الجبار
٣٣ – ملتقى البلاغيين و النقاد العرب
٤٣ – من أخبار البادية في نجد٥٠٠-٨٥٠ هـ، أيمن سعد النفجان.
٥٣ –مناهج تحقيق التراث و المخطوطات العربية، د. حسان حلاق .
٦٣ – الموشح، المرزباني .
٧٣ –المطر في الشعر الجاهلي، د . أنور أبو سويلم .
٨٣ –المطر في الشعر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، سلامة السويدي .
٩٣ –المطر و تجلياته في شعر امرئ القيس و عبيد بن الأبرص، علي معدلي، محبوبه محمد زاده سيرازي .
٠٤ –موقع الدكتور عالي القرشي .
١٤ –موقع جامعة أم القرى على الشبكة العنكبوتية .
٢٤ – موقع مجلة الزيتونة على الشبكة العنكبوتية .
٣٤ – موقع ويكي مصدر، السيرة الحلبية .
٤٤ – النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د . زكي مبارك .
٥٤ – نظام الغريب، الربعي .
٦٤ – نمط صعب ونمط مخيف مخيف، محمود شاكر .
٧٤ – الوثائق المنيرة في المعاملات وحقوق الجيرة، نايف بن عوض الوسمي .
٨٤ – الوقوف على الأطلال بين شعراء الجاهلية والإسلام حتى القرن الخامس الهجري ، د. مصطفى عبد الواحد .

المؤلفة في سطور :

- ابتسام عبد الله مطر البقمي .
- مواليد مكة المكرمة١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م .
- بكالويوس بلاغة و نقد مع إعداد تربوي، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤١٧ هجري .
- ماجستير أدب، تخصص دقيق بلاغة ونقد، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى ١٤٢٤ هجري .
- لها رسالة علمية مجازة علميًّا بعنوان: (سورة غافر..دراسة بلاغية).
- كتبت في الصحافة السعودية لأكثر من عقد من الزمن .
- صدر لها كتاب (اضطراب)مجموعة قصصية قصيرة، الطبعة الأولى، عن نادي مكة الثقافي الأدبي، عام ١٤٢٦ هجري، ٢٠٠٥ ميلادي .
- صدر لها كتاب (حصاد العقل) مقالات، الطبعة الأولى، عن دار مقناص للطباعة و النشر عام ١٤٢٧ هجري، ٢٠٠٦ ميلادي .
- صدر لها كتاب (اضطراب) مججموعة قصصية قصيرة، الطبعة الثانية، عن دار المؤلف للطباعة والنشر عام ١٤٣١ هجري، ٢٠١٠ ميلادي .
- عضو الجمعية العمومية لنادي جدة الثقافي الأدبي عام ١٤٣٢ هجري.

الفهرس

إهداء..... ٣
المقدمة..... ٥
فاتحة الحصاد ٧
البكاء على الأطلال و البكاء على المدن و الممالك في الشعر العربي ٨
امرأة متميزة ١١
المرأة السعودية .. إشادة وتقدير..... ١٥
أربع نماذج أبهرتني ١٩
الدراسات الأكاديمية وغير الأكاديمية التي رصدت الأدب النسائي السعودي ٢٣
المرأة الأديبة في تراثنا الأدبي ٢٥
حرروها من أسرها ... فكوا عنها قيودها ٣١
الهموم الكبيرة للباحث ٣٣
محمود شاكر العلم الذي لم يرحل ٣٥
البلاغة العربية نكهة علوم العربية وطعمها الخاص ٣٧
قراءة نقدية في كتاب : البديع في ضوء أساليب القرآن ٤١
استشارة الباقلاني في (إعجاز القرآن) و الدكتور زكي مبارك في (النثر الفني في القرن الرابع الهجري) ٤٥
السرقات الأدبية هضم لحقوق الأديب وظلم له ٤٧
أدب الرحلات..... ٤٩

دعي فن المقامة فهو قديم ٥٣
علاقة الإنسان بالمكان ٥٥
المطر في الشعر الجاهلي ٥٩
الأديب ومذهبه الأدبي ٦٥
الشيخان القاضي عبد الجبار وعبد القاهر الجرجاني ٦٧
أهمية وجود معاجم للعبارات النقدية والأدبية والتاريخية والسياسية والطبية والعلمية في تراثنا العربي ٧١
قراءة في كتاب : الوثائق المنيرة في المعاملات وحقوق الجيرة ٧٣
قراءة في كتاب : مناهج تحقيق التراث و المخطوطات العربية ٧٧
قراءة في كتاب التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ٧٩
قراءة في كتاب عمارة الحرم المكي الشريف ٨١
قراءة في كتاب : آبار مكة المكرمة ٨٥
قراءة في كتاب من أخبار البادية في نجد ٥٠٠ - ٨٥٠ هـ ٨٩
قراءة في كتاب المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح ٩٣
الحلم سمة الأذكياء العقلاء ٩٧
لا تجرب الدخان، أو المخدرات فقد تهوي في القاع ٩٩
قفلة للشاعر السعودي عبد الله محمد جبر من قصيدة ١٠١
بعنوان: (الوحوش الآدمية مهربو المخدرات ومروجوها)..... ١٠١
يا معشر الشباب انحتوا في الصخر ١٠٣

الصرح الشامخ ١٠٥
و أولي الأمر منكم ١٠٧
قائمة المصادر و المراجع..... ١١١